السنة السادسة عشرة   العدد ١٠   تشرين الاول   ١٩١٣

المشرق

رسالتان للسيّد جرمانوس فرحات

في رسوم وعوائد الرهبانية اللبنانية ورسوم الكمال

نشرها الاب شارل ابيلا اليسوعي

توطئة

اطلعنا حضرة الاب الفاضل الخوري يعقوب زعرور على مجموع مخطوطات دينيّة وهو كتيّب صغير الحجم يبلغ طولهُ ١٥ سنتيمترًا ونصف وعرضهُ ١٠ سنتيمترات ونصف. وقد اذن لنا حضرة الاب ان نقتطف شيئًا منهُ نطرف بهِ قرّاء المشرق

وقد عثرنا في هذا المجموع على رسالتين للسيّد جرمانوس فرحات نسخهما بيده ويراعه. فقد كتب اثابهُ الله في ذيل الرسالة الاولى ما حرفهُ:

« تمّ نسخه بيد الحقير جبرئيل فرحات الراهب اللبنانيّ في دير مار انطونيوس قزحيا في ٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٩ »

فيكون تاريخ النسخة قبل سيامة المؤلف اسقفًا بخمس سنوات ونيف. وبعد وضعه لقوانين الرهبانيّة اللبنانيّة باثنتين وعشرين سنة (١) اما زمن تأليف هذه الرسالة فلا يسعنا ان نبتّ فيه رأيًا. على انهُ اقدم عهدًا من تثبيت الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر لقوانين وفرائض الرهبانية المارونيّة البلديّة عام ١٧٣٢: ولكن مَن امعن النظر في مضمون هذه الرسالة لا يشكّ انها وُضعت بعد نشر المؤلف للقوانين. فانّ ثمَّة من عوائد عيشة الرهبان اليومية وتفاصيل حياتهم المادّية ما لا يُصرّح بهِ القانون مُفصّلًا وان كان مبنيًّا عليهِ. وانما تُنظم العوائد في سلك القانون بعد ان جرت بالعمل ومرَّ عليها الزمن

(١) راجع المشرق (٧: ١٠٦ و ١٠٨)

ولم يرد ذكر الرسالة هذه في تركة المؤلف العلميّة المعروفة التي دوّنها في المشرق (٧: ٢٥٤) حضرة الكاتب المدقّق القس جرجس منش فيكون لحضرة الاب يعقوب زعرور الفضل العظيم في انتشالها من ايدي الضياع فنحضه خالص الشكر عنا وعن مواطنينا الذين يرتاحون ولا شك الى مطالعة هذه الصُحيفات لاسيا الرهبان فكأنها مرآة تمثّل لنا حياتهم في ذلك الزمان واعتناء عميد نهضتهم حتى في صغائر امورهم شأن كل مُمهّدٍ لسبيل الكمال المسيحي ايضًا امّا الرسالة الثانية فقد ضمّنها المؤلف موادّ رياضة روحية مختصرة لعشرة ايام. وهي من خطّه اجزل الله ثوابهُ نسخها عقب الاولى. ونحن ندرجها في اثرها وندعهما على لهجتهما

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

وبعد فهذه رسالة تتضمّن جميع ما يلزم الرهبنة اللبنانيّة من الفوائد والطقوس واصحاب الوظائف والمبتدئين وهي عشرة فصول

(الفصل الاول) في الامور اللازمة في صلوات الفرض. (الفصل الثاني) في نظام الاخوة في الكنيسة. (الفصل الثالث) في ترتيب قداس الاخوة. (الفصل الرابع) في ما يلزم من جميع لوازم القداس. (الفصل الخامس) في مايلزم القندلفت. (الفصل السادس) في مايلزم واضع مائدة الاخوة. (الفصل السابع) في ما يلزم المائدة. (الفصل الثامن) في ما يلزم الطباخ. (الفصل التاسع) في ما يلزم القهرمان. (الفصل العاشر) فيما يلزم المبتدئين

الفصل الاول

في الامور اللازمة في صلوات الفرض

(اولًا) يلزم الاخوة ان يرسموا اشارة الصليب آخر كل قومة من صلوة الليل. (ثانيًا) يتقيّد واحد في قلب ورق كتاب الصلوة. (ثالثًا) تستعمل المكاز في صلوة السواعي. (رابعًا) البدو (البدء) للرئيس وتكبير الشماسة. (خامسًا) صلوة ختام الصلوة للرئيس غالبًا. (سادسًا) ان الاخوة تقبّل يد الرئيس في الصلوة وعند الختام وهو لا يقبّل يد احد منهم ألّا اذا وجد كاهن غريب فليقبّل يده. واما بعد الختام فلا يقبّل يد الرئيس ألّا الاخوة الذين يصلون الصلوة الفرضية. (سابعًا) ان الرئيس له بدء بيت السيدة والورق. (ثامنًا) والمتقدم في القراءة الثانية له كل ما للرئيس في القراءة الاولى. (تاسعًا) ان آخر بيت من الباعوث يقال في القراءة التي ينتهي عندها وذلك في كل صلوة فرضية ألّا اذا قرأ المدرش يرجع آخر الباعوث (١ للرئيس. (عاشرًا) اذا كان

١) المدرش او المدراش التسبحة وتكون عادةً شعرًا. والباعوث الدعاء والصلاة

للحسَّاية (١ فتحان طويل وقصير فليبتدئ الشماس بالفتح الطويل لكن اذا رأى الرئيس التفت اليه بالاشارة يلزمه ان يبتدئ بالقصير فلهذا يلزم الشماس ان يعطي باله الى الرئيس في مثل هذا المحل . (الحادي عشر) يلزم القراءة الثانية ان توافق قراءة الرئيس في الصوت والحركة . (الثاني عشر) ان مداوش الشحيم لا تقال من اول شهر ايار الى آخر شهر ايلول . (الثالث عشر) ان الصلوات الفرضية ان كانت نصف الليل فلتكن في وقتها المعين كما قال القانون . وصلوات السواعي تكون بعد الظهر بساعتين دائمًا الّا ان كان قبل الاحد والعيد البطالة فلتكن بعد الظهر بساعة ونصف وان كانت صلوة الفرض في غير هذين الوقتين فهي مرتّبة مثلما تراه امامك

تعيين اوقات صلاة الغروب والستار والسحر حسب الاشهر

	الغروب	الستار	السحر
آذار	[illegible]	٦[illegible]	[illegible]
نيسان	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] [illegible]
ايار	[illegible] [illegible]	[illegible] ٧	[illegible] [illegible]
حزيران	[illegible] [illegible]	[illegible] ٧	[illegible] [illegible]
تموز	[illegible] [illegible]	[illegible] ٧	[illegible] [illegible]
آب	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] [illegible]
ايلول	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] [illegible]
تشرين الاول	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] ٠
تشرين الثاني	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] ٠
كانون الاول	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] ٠
كانون الثاني	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] ٠
شباط	[illegible] [illegible]	[illegible] ٦[illegible]	[illegible] ٠

اما الصيام الكبير فلتكن فيه صلوة الغروب بعد الظهر بخمس ساعات والستار بعد الظهر بست ساعات ونصف . (الرابع عشر) اذا وجد على القراية احد المدبرين فله التقدُّم على الرئيس لكن لا يزمزم ولا يتطاول على الرئيس في شيء وليس له الّا صلوة الغفران فقط والرئيس يلزمه من باب الادب ان يكلفهُ ان يبدأ بالصلوة والى غير ذلك

---

١) الحسَّاية صلاة الاستشفاع والغفران

الفصل الثاني

في نظام الاخوة في الكنيسة

(اوّلا) فلتقف الاخوة الكهنة في الكنيسة امام الهيكل من عن يمين الرئيس وشماله متأخرين عنه قليلا وباقي الاخوة متأخرين عن الكهنة قليلا ايضاً . (ثانياً) يقولون طلبة السيدة منقسمة بين جوقين ليلة الاحد والاعياد البطالة . (ثالثاً) يلزم الذي يكون نائب الرئيس في الكنيسة ان يقبّل يد الكهنة في محل التقبيل . (رابعاً) لا يقرع احد صدره بعد خض الضمير قبل الرئيس او نائبه . (خامساً) نائي الرئيس يعزم على البخور في القرّاية

الفصل الثالث

في ترتيب قداس الاخوة

(اولا) ان قدّس الرئيس اولا فله انظف الهياكل . (ثانياً) اذا تعددت القداديس فليُهيأ للقداس الثاني من دورة كاس القداس الاول . (ثالثاً) يلزم ان يُقدّس للطباخ ورفيقه وللقيرمان قداس من اول صلاة السحر ليمضوا الى اشغال ديرهم وذلك يوم الاحد والعيد . (رابعاً) لا يوضع بخور زائد في البخرة . (خامساً) ان لنا عادة ان نقدس نصف الليل قداساً كبيرًا في ليلة عيد الميلاد وعيد القيامة فقط ونفطر بعد صلوة السحر

الفصل الرابع

في ما يلزم من جهة لوازم القداس

(اولا) يلزم خادم القداس ان يتفقد لوازم القداس ويتممها كلها . (ثانياً) يضع كل يوم ماء جديداً في الاناء وتكون نار المبخرة معتدلة . (ثالثاً) يلاحظ نظافة ضوء الشمع لئلا يغثم ويهندم كتّونة الكاهن وبدلته . (رابعاً) يتفق مع الكاهن في الصوت والحركة . (خامساً) يقرع الجرس في اول القداس العام قبل ان يبدأ الكاهن بلبس البدلة . (سادساً) يلزم الاخوة في القرّاية والكنيسة ان يطيعوا الاخ المتقدم فيهم متى كلفهم للخدمة ام لغيرها . (سابعاً) يخدم اربعة في القداس الكبير وينقسمون جوقين كل جوق يقول بيتاً ويكونون متساوين في النغم والترتيل بكل جهدهم لئلا يصير سجس

الفصل الخامس

في ما يلزم القندلفت

(اولاً) يلزم القندلفت ان ينظر كل ليلة هل يكون عيد في اليوم المقبل ليهيء صلاته وان كان ليس له صلاة فليعلم الرئيس . (ثانياً) يلزم ان يعين فصل الرسالة والابركسيس والانجيل بعلامة لطيفة . (ثالثاً) ان ينظف الهياكل والايقونات من الغبار وينظف الشماعدين ودرجات الهيكل وينظف القنديل وماءه وذلك كله يكون ليلة الاحد . (رابعاً) يزين الهيكل ليلة الاحد والعيد باربع شمعات جدد وان كان العيد معظماً فست شمعات وان كان اعظم فثمان شمعات . (خامساً) يلزمه ان يخرج بدلة ألطف من بدلة ايام الستة قبل صلاة الغروب ويهيئها مفتوحة لبهجة الاحد والعيد وكلما كان العيد اعظم يهيء له بدلة اثقل . (سادساً) ويلاحظ دائماً البرشان الكبير والصغير واذا عازه ذلك فليخبز قبل عازته بيوم . (سابعاً) اذا غسلت الاخوة فليتفقد لبس الهيكل والبدلة فان كان يلزمهم الغسيل فليغسلهم عند الاخوة ويغيّر اسفنجات القداس اذا اتسخوا قليلاً ويغسلهم ان كان صاحب درجة مقدسة ويطرح الماء اما في جرن المعمودية او في النهر . (ثامناً) يعمل جهده كله في نظافة الهياكل وكنس الكنيسة وغسل اواني التزكى (١ وسدّ افواههم والنتيجة يكون منظر الكنيسة وحده كافياً للعبادة . (تاسعاً) يعمل فتائل شمع لاستعمال الاخوة . (عاشراً) ينظف سُرُج القرّايات وملاقيطهم ومكانهم كل يوم سبت ويهيء غزلاً لفتائل السرج والقنديل ويعمل الفتائل حاضرة ويتفقد فتائل السرج عندما يضويهم . (الحادي عشر) ينبّه الاخوة على الصلب كل يوم اربعاء وجمعة الّا اذا كان الاثنيعشرية والخمسينيّات فلا صلب فيها . (الثاني عشر) ويقرع الجرس في وقت كل صلوة ليلاً ونهاراً واذا كان احد او عيد فليقرع الجرس وقت الغروب قبل الوقت المعين بنصف ساعة . (الثالث عشر) يلاحظ الماء المباركة فان كان تمّ كله فليطلب الى احد الكهنة ليبارك له على الماء . (الرابع عشر) عند طلبة السيدة يضيء الشمعة امام الهيكل واذا كان احد او عيد فليضيء شمعتين ويضيء في العيد الاعظم شمع الهيكل كله

١) اي اواني التقدمة المختصة بالقداس كالماء والخمر

الفصل السادس

في ما يلزم واضع مائدة الاخوة

(اولاً) يلزم واضع المائدة نظافة المائدة وكنس بيت المائدة الاربعاء والسبت وغسل مناديلها كلما توسخوا . (ثانياً) يغسل دف المائدة بماء حار كل شهر مرة . (ثالثاً) يضع قدام كل اخ ملعقة وثلاثة ارغفة والمنديل فوقهم . (رابعاً) يُبقي الكسر للطباخ ليتصرف بهم وان امكن فليضع منهم قدام الاخوة . (خامساً) يغسل فناجين المائدة في السبت ثلث مرات والقناني كل سبت مرة والاباريق على ما يقتضيه العقل . (سادساً) يضع اواني النبيذ والماء على المائدة يميناً وشمالاً وكذلك المملحات . (سابعاً) تكون له خزانة للخمر وما اشبهه ولا يجعل في القناني خمراً برّا الخزانة . (ثامناً) ينظف سراج المائدة وقناديلها وعليه دق اللح الناعم للمائدة

الفصل السابع

في ما يلزم المائدة

(اولاً) يكون طعام المائدة لونين واحد شديد وآخر رخو ويكون لون ثالث من حواضر الدير . (ثانياً) يطبخ رز يوم الاحد والاربعاء ان كان ليس عيد والّا فلينتقل من الاربعاء الى العيد والبيض يكون في السبت مرّة او مرتين او ثلث حسب الموجود . (ثالثاً) يلزم الطباخ ان يكون خادماً على المائدة ويزيد الطعام اذا نقص ويلاحظ احتياجات الاخوة ليقدمها لهم مثل خبز وخمر وملح وما اشبه ذلك . (رابعاً) يعتبر خدمة الكل بالسواء من المبتدئ الى رئيس العام والحذر ثم الحذر من ان يوضع لاحد الاخوة شي‌ء مميّز على المائدة من غير علّة مرض او ضعف احياناً ولو كان رئيساً عاماً . (خامساً) ليقرأ احد الاخوة وقت الاكل غداء وعشاء ولا تبطل القراءة الّا اذا كان على المائدة ثلثة اخوة فنازلاً . (سادساً) يأكل القارئ والطباخ معاً بعد فراغ الاخوة . (سابعاً) يرفع القارئ صوته في قراءته ويتأنى بها لتفهم الاخوة . (ثامناً) ويقرأ قانون الرهبنة في اول احد من كل شهر . (تاسعاً) وقت الغداء في الاحد والعيد يكون بعد القداس الكبير بنصف ساعة فان صار بعده قداس

آخر فيتأخر الغداء بعده واما بقية الايام فهو كما تراه معيّناً هنا شهرًا فشهرًا على نسق الساعات المرقومة تحته

آذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	آب	ايلول	تشرين	تشرين	كانون	كانون	شباط
٩½	٩	٩	٩	٩	٩	٩½	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠

واما العشاء فبعد صلوة الغروب بنصف ساعة وفي الصوم الكبير للتاسعة. (عاشرًا) الأكل في الصوم الكبير مرة واحدة وعند المساء يوضع على المائدة من حواضر الدير أكل غير مطبوخ فمن اراد ان يأكل يأتي الى المائدة. (الحادي عشر) يوم جمعة الصلبوت لا يؤكل فيه طعام مطبوخ بل حشائش برّيّة متّبلة بزيت وخلّ. (الثاني عشر) يوضع الخمر على المائدة غداء وعشاء اذا كان ميسّرًا واذا غاب من الاخوة وقت الغداء ثلثة فاكثر لا يوضع خمر واذا غابوا غيبة طويلة اي لم يحضروا غداء وعشاء فليوضع خمر. (الثالث عشر) يلزم الاخوة الغير كهنة ان يركعوا ثم يدخلوا المائدة والمبتدئون لا يدخلوا حتى يأذن لهم الرئيس او نائبه والّا فلينتصبوا قائمين امام المائدة الى الغاية (الرابع عشر) يلزم الاخوة ان يستأذنوا الرئيس في شرب الماء ثم يركعوا فيشربوا والكهنة يستأذنون ولا يركعون واما في السفر فيكفي الاذن فقط ولا يركعون جميعاً. (الخامس عشر) اذا كان الرئيس غائباً فلا يجلس نائبه في مكانه على المائدة. (السادس عشر) غداء العوام يوم الاحد والعيد يكون بعد القداس الكبير ولا يقرع ناقوس المائدة الّا بعد ان يوضع للعوام اكلهم. (السابع عشر) لا يُبعث خمر الى الاخوة اذا كانوا يشتغلون في الحقلة ولا يشرب احد خمرًا خارج المائدة الّا المريض والمسافر

الفصل الثامن

في ما يلزم الطباخ

(اولًا) يلزم الطباخ اولًا خوف الله وطولة الروح. (ثانياً) ان ينقي الحبوب جيدًا وينقي الخضرة ويغسلها جيدًا. (ثالثًا) يحرص على نظافة الاكل ونظافة الاوعية والصحون جدًا ويستعمل الغطاء للأكل احتراساً. (رابعاً) ويبيّت ما فضل من الطعام باواني فخّار حذرًا من الزنجار ويصونها مغطاة في اماكن مضبوطة نظيفة. (خامساً) لا يطبخ بسمن الّا الاحد والعيد وسبت المرفع الكبير ومرافع القطاعات. (سادساً)

تفطر الاخوة في عيد ميلاد على عسل وجبن وفي عيد الكبير على عسل وبيض مسلوق ويوضع لكل واحد رغيف وبيضتان ويشرب فنجان عرق ولهم ان يتحدثوا بلا قراءة. (سابعاً) يلزم الطباخ ان يخبي له وللقارئ من كل لون صحن طعام لا يكون من فضلات الاخوة بل من قدر الطعام ويبقيه سخناً لا فاترًا. (ثامناً) لا يزيد الطباخ صحن الاخ اذا نقص من فضلات صحون الاخوة الّا اذا لم يبقَ في القدر طعام. (تاسعاً) لا يخلط فضلات طعام الاخوة المرضى ولا طعام العوام مع طعام الاخوة. (عاشرًا) اذا شرب الاخ من الابريق يمسحه بمنديل المائدة ولا يبصق او يمخط بمنديل المائدة ابدًا لانه وُضع لان يمسح به يديه وفمه. (الحادي عشر) غسل الصحون يكون كل سبت على واحد من الاخوة كاهناً كان ام غير كاهن

الفصل التاسع

في ما يلزم القهرمان

(اولًا) المراد بالقهرمان الكلارجي وهذا يلزمه قبل كل شيء خوف الله ومحبة الاخوة. (ثانياً) يلزمه ان يكون حريصاً على رزق الرهبنة يلاحظ دائماً ان لا يتلف شيء في يده من تهاونه واهماله. (ثالثاً) يكون حكيماً متزنًا مع الغرباء لا يبسط يده في العطاء كثيرًا ولا يقبضها كل القبض. (رابعاً) ويلزمه ان يداري الحكام وتوابعهم. (خامساً) وليحذر ان يخصص ذاته باكل او شرب او غيره دون الاخوة فهذا يصير فيه ملكة وغايته خسارة النفس. (سادساً) يستقبل الضيوف بوجه بشوش لاسيا المساكين ولا يتحامق على خدام الدير. (سابعاً) يداري اخوته بكل حب ولطافة ولا يفضل العوام عليهم ولا يجعل له حباً خصوصياً مع العوام. (ثامناً) يحذر مجد العوام له حتى لا ينغش من المجد الفارغ فيفرط في رزق الاخوة فيصير بمنزلة حرامي. (تاسعاً) يتقدم فيقبه الرئيس على كل شيء في اوانه من لوازم مونة الدير ومتروله. (عاشرًا) يكلف خدام الدير الى نظافة الدير والمترول والتكنيس ويضع كل حاجة في مكانها. (الحادي عشر) يستقضي الاخوة بالمحبة لا بالامر ولا يتنفر فيهم اصلًا لان هذه الوظيفة مادّة عظيمة في الامر والنهي فمن مشى فيها بغير اتضاع وافراز اضاع حياته باطلًا ومات مداناً. (الثاني عشر) يلزمه اذا رأى الطباخ غشياً ان يشور عليه بالمحبة ويديره بخوف الله ويلزم الطباخ ان يطيعه بافراز

الفصل العاشر
في ما يلزم المبتدئين

(اولاً) يلزم الذي يدخل رهبنتنا ويشارك اخويتنا ان يعترف وقت دخوله اعترافاً عاماً كما امر قانوننا ثم يلبس زيّ المبتدئين ويدخل في التجربة وتحسب له مدة التجربة من وقت اعترافه العام ويُكتَب في دفتر خاص يوم دخوله ويوم نذره . ومدة التجربة سنتان . ولكن يلزمه قبل دخوله في التجربة ان يتردد مع الاخوة بثياب العوام نحو اربعة ايام او خمسة ليتنبَّه الى ما هو متوجه اليه . (ثانياً) يلازم المبتدئ السكوت بحضرة رئيسه واكابر الرهبنة ولا يكثر الكلام ما بين الاخوة ولا يتكلم الّا حتى يؤمر ويخاطب الرئيس مكتفاً . (ثالثاً) لا يتكلم في مدة التجربة عامياً الّا باذن الرئيس . (رابعاً) لا يجلس على المائدة الّا باذن الرئيس ويأكل بهدوٍ وادب مطرقاً بنظره الى ما قدامه . (خامساً) يعطي سمعه الى قراءة المائدة ليحفظ ما يفيده . (سادساً) لا يشرب خمراً اذا كان غير معتاد عليه ولا يتنشق التبغ اذا لم يكن له عادة فيه . (سابعاً) اذا كان جالساً ومرَّ عليه الرئيس ام احد الكهنة فلينهض قائماً مكتفاً مطرقاً حتى يفوت ولا يجلس ما بين الاخوة الّا حتى يأمره الاكبر فيهم بالجلوس . (ثامناً) يتجنب مشيئته ويقطع هواه لرئيسه واخوتهِ والّا فرهبانيته باطلة . (تاسعاً) يخضع لاخوته ويرضيهم بحسن سلوكه ليشهدوا له عند قرعة نذره والّا فيبقى مبتدئاً بلا نذر حتى يتهذب او يُطرد . (عاشراً) يخصّ ذاته بادنى الوظائف وادنى الثياب والحوائج . (الحادي عشر) ليكن اول من يدخل الكنيسة وآخر من يخرج منها بافراز ويقرأ قانون الرهبنة في كل سبت مرة ويكشف افكاره لرئيسه كل ليلة الّا قليلاً . (الثاني عشر) اذا كان جالساً وكلّمه الرئيس ام احد الكهنة فليقف مكتفاً مطرقاً ويجاوب باحتشام واذا وبخه الرئيس يجثو على ركبتيهِ صامتاً غير محتجّ ولا معتذر حتى يأمره الرئيس بالقيام والاعتذار . (الثالث عشر) يفرح اذا قونِّنهُ رئيسهُ ويصلي من اجلهِ لانهُ افاده ووقى عن عذاباته في المطهر بهذا القانون ويحذر من بغضة الرئيس وديّنونته ومن ديّنونة الاخ الذي سبب لهُ القانون . (الرابع عشر) لا يجتمع المبتدئون معاً ولا يدخلوا قلالي بعضهم بعضاً . (الخامس عشر) لا يكشف افكاره الّا لرئيسه او لنائب الرئيس او معلم اعترافه ولا يقبل من احد سرّاً ولو

كان راهباً الّا ويكشفهُ لرئيسه . (السادس عشر) يتجنَّب الضحك والدالَّة والفضول وكثرة الكلام والتشير وان تكلم مع احد الاخوة بقلة ادب او بعدم محبة فايكم له مستغفرًا منه . (السابع عشر) يلزم المبتدئ ان يكون مثالاً صالحاً وفي اقواله واعماله لانهُ ما دخل الرهبنة الّا حتى يحمل صليب يسوع سيده ويكفر بنفسه ويعدّ كل شي، كالزبل ليربح المسيح الذي من اجله دخل الرهبنة ليكون مجاهداً صابرًا ناسكاً متقشفاً محقورًا متواضعاً ثابتاً طائعاً ويميت نفسه في كل حال واوان حتى الانتها.

تمَّ نسخه يد الحقير جبرايل فرحات الراهب اللبناني في دير مار انطونيوس قزحيا ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٩

رسالة في اصول الكمال الروحي

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد وبهِ نثق

مقدمة

(اعلم) ان غاية النفس وصولها الى الكمال . وهذا الكمال فرض لازم كلًّا الوصول اليه حسب رتبته . سواء كان كاهناً ام راهباً ام عزباً ام مزوجاً . ويُكتسب هذا الكمال بمحبة الله حسب (الرتبة) لانها اساسهُ . والطريق الموصل الى هذا الكمال المكتسب هذه المحبة الكاملة هو الرياضة التي تصير مدة ثمانية ايام ام عشرة . ينفرد فيها المسيحي عن مخالطة الناس في خلوة لينتبه الى ما يلزمه من تهذيب سيرته ليتنقى من العوائق والشوائب التي تعوقه عن اكتساب الكمال المؤسس على محبة الله الكاملة . وها انا اقسم لك مدة الرياضة ثلثة اقسام الاول التطهير والثاني التنوير والثالث الاتحاد (١ . وكل قسم منها له ايام معينة من ايام الرياضة . وكل يوم له موضوعات خاصة تقرأها في ذلك اليوم

---

١) ان معلمي السيرة الروحية قد قسموا طرائق الكمال الى ثلاثة اقسام . اي تطهير القلب من ادرانهِ . ثمَّ تنوير الذهن بتأمل سيرة السيد المسيح وآلامهِ واخيرًا الاتحاد بهِ تعالى بالحبّ الصادق . وهذه كثلاث مراقٍ يرقى بها المسيحي سلّم الكمال على ما خصَّهُ القديس اغناطيوس في كتاب رياضاتهِ المؤلف من اربعة اسابيع . اولها يروّض فيهِ المسيحي نفسهُ على بغض الخطيئة ليطهر قلبهُ منها . وثانيها يتأمل فيهِ حياة المخلّص لهُ المجد ليتخلّى بنبراس فضائله . وثالثها يرتاض فيهِ على تأمل آلام المسيح لتثبت قدمهُ في سبيل قدوته . ورابعها يخصّصهُ بتأمل امجاد الرب كقيامته وصعوده فيعيش بحبّهِ تعالى على الارض عيشة الابرار المتحدين بهِ في نعيمهِ . فمعلوم ان الحب يحوّل النفس نوعاً ما الى طبيعة المحبوب كما ان معاينة الابرار لهُ تعالى وجهاً لوجه وحبهم الناشئ عن تلك المعاينة يجعلانهم شركاء طبيعته الالهية (رسالة القديس بطرس الثانية ١ : ٤)

القسم الاول في التطهير

اليوم الاول

(اعلم) ان المراد بالتطهير نقاوة النفس من دنس كل خطيئة فكرية وقولية وفعلية . اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في بغض الخطيئة وشرّها . (ثانياً) في الندامة الناقصة والكاملة . (ثالثاً) في احتقار اباطيل العالم . (رابعاً) في الشقاوة الانسانية . (خامساً) في تضييع الزمان باطلاً

اليوم الثاني

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في فوائد السيرة الرهبانية وقوانينها . (ثانياً) في العواقب الاربع . (ثالثاً) ضعف الطبيعة الانسانية . (رابعاً) في تلاشي العالم ومجده الباطل . (خامساً) في الابدية

اليوم الثالث

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في التجارب ومضادّتها . (ثانياً) في الصبر والاحتمال . (ثالثاً) في النمو الروحي . (رابعاً) في اصلاح السيرة . (خامساً) في مضرّة الكسل والتواني والضجر

اليوم الرابع

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في اماتة الذات . (ثانياً) في مضرّة البطالة وفائدة الممارسة للامور الروحية . (ثالثاً) في الكبرياء والعُجب . (رابعاً) في الفرار من المعاشرة وفائدة الصمت . (خامساً) في محبة القريب ومضرّة ديثونة القريب

اليوم الخامس

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في الطاعة الرهبانية والطاعة البيمية . (ثانياً) في شرف دين المسيح وامانة الكنيسة الرومانية والخير الروحي الموجود فيها . (ثالثاً) في امتلاك الطهارة والفرار من الزنا واسبابه . (رابعاً) في ترك محبة الذات والزهد في العالم والاهل حتى الوالدين . (خامساً) في فائدة الفقر الاختياري وترك محبة الفضة ومحبة البطن

القسم الثاني في التنوير

اليوم السادس

(اعلم) ان المراد بالتنوير امتلاك الفضائل . اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في

الادب والاحتشام. (ثانياً) في الاتكال على الله. (ثالثاً) في الوداعة وسلامة القلب. (رابعاً) في الشوق الى حمل الصليب. (خامساً) في فائدة تلاوة الكتب الروحية والمذاكرة الروحية

اليوم السابع

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في بحث الاعتراف والتوبة. (ثانياً) في احتقار الكرامات. (ثالثاً) في الاقتداء بالمسيح. (رابعاً) في الافراز. (خامساً) في معرفة الجميل

اليوم الثامن

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في الجهاد على اكتساب الفضائل. (ثانياً) في الشوق الى الاحتقار من الناس. (ثالثاً) في النصائح الانجيلية والرسولية. (رابعاً) في حسن السلوك امام الله والناس بسيرة صالحة. (خامساً) في المثل الصالح

القسم الثالث في الاتحاد

اليوم التاسع

(اعلم) ان المراد بالاتحاد رباط المحبة الكاملة بين الله والنفس. اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في فحص الضمير والندامة الكاملة. (ثانياً) في محبة الله واحساناته الينا. (ثالثاً) في انواع الفضائل وفي شر انواع الرذائل. (رابعاً) في شرف مريم العذراء ومار يوسف وفي سيرة بقية القديسين. (خامساً) في شرف القربان المقدس وفي كيفية الاستعداد لتناوله سواء كان التناول سرياً ام روحياً وفي الشكر بعد التناول

اليوم العاشر

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في الاتضاع. (ثانياً) في مطابقة الارادة الالهية. (ثالثاً) في فائدة الصلوات والتأملات. (رابعاً) في مناجاة النفس ربها. (خامساً) في سيرة يسوع وآلامه وموته

(تنبيه) انه يجوز لك ان تغير القراءة في موضوع الايام. وان تبدل يوماً بيوم وان تختصر الموضوعات وان تنقص ايام الرياضة حسب شور مرشدك والحمد لله دائماً

مشروع
سكة حديد جبلية داخل قضاء المتن
على مشارف لبنان

بقلم جناب سرّ مهندس ولاية بيروت سابقاً بشاره افندي

اهدانا جناب المؤلف مقالتهُ هذه المطبوعة التي تشفّ عن رغبتهِ في تقدُّم لبنان وصوالح اهلهِ فاستحسنّا ادراجها في المشرق لينال القرّاء من فوائدهـا ويعضدوا هذا المشروع على قدر طاقتهم لانهُ حريٌّ بالاعتبار يعود على الوطن بالمنافع الجزيلة (المشرق)

في عام ١٨٨٠ كان قد استنهض همّتنا لتخطيط رسم سكة حديديّة المرحوم حمدي باشا أيام كان والياً على سورية وبيروت. فنشرنا آنئذٍ كرّاسةً اوضحنا فيها إمكان انشاء سكة حديد اصوليّة من الخطّ الضيّق (بعرض متر) بين بيروت والشام وحوران

وكان من الواجب حسب المشروع الاعدادي الذي وضع في ذلك العهد ان يجاري خط سكة الحديد واديَي نهر بيروت وصاليا حتى حمانا حيث يدخل في نفق (تونل) على خمسة او ستة كيلومترات ليبلغ خان مراد ومن هناك يمتد في حلف الجبل حتى زحلة والمعلقة ثم يتبع خط السكة الحديدية الحالية مخترقاً سهل البقاع فوادي يحفوفة فسهل الزبداني الخصب فوادي بردى فالشام فحوران

ولاسباب لا حاجة لايرادها هنا ضربوا صفحاً عن تسيير هذا الخط الصوابي في لبنان وعوّلوا على الخطّ ذي الاسنان الحالي. وكنا قد استندنا وقتئذٍ في انشاء خط حديدي الى اتساع نطاق التجارة والى ما يصيب الجهات التي يمرّ بها من التقدّم. وقد صحّ ما استندنا اليهِ ونتج عن ذلك الخط من التقدم الاقتصادي فوق ما كنا نؤملهُ

ولكي يطّلع القرّاء على بيان ما نستند اليهِ نأتي هنا على محصَّل الاحصاء الذي كنا وضعناهُ في ذلك العهد لما كان يُنقل من الركّاب والبضاعة بين بيروت والشام وحوران

من المعلوم ان النقل كان يتمّ وقتئذٍ على الطرق الآتية

اولًا — بواسطة مركبات شركة طريق بيروت والشام العثمانية. وقد جاء في تقرير مجلس ادارة هذه الشركة السنوي ان تلك المركبات كانت تنقل بين المدينتين ذهاباً وإياباً عشرة الاف راكب وعشرين الف طن من البضاعة

ثانياً — بواسطة الدولاب التي كانت تنقل حسب الاحصاء الدقيق نحو خمسة عشر الف طن وستة الاف راكب

ثالثاً — كان يتم النقل في حوران على الجمال فكان ينقل عليها من حوران الى الشام نحو ثمانية عشر الف طن ومن الشام الى حوران نحو الفي طن (من الملح والانسجة والثمار الخ) وثلاثة الاف راكب من الحجاج ذهاباً وإياباً. وكان يُنقل من حوران الى سهل البقاع وما يجاوره نحو اربعة الاف طن فكان جملة المنقول من الركّاب نحو عشرين الفاً ومن البضاعة نحو ستين الف طن

فاذا دقّقنا اليوم في تقرير مجلس ادارة السكة الحديدية نجد انها تنقل سنوياً على الخط الضيّق فقط نحو مائتين وخمسين الف طن واربعمائة الف راكب اي اربعة اضعاف ما كان ينقل من البضاعة وعشرين ضعفاً من الركّاب

واذ نحن نقصد الكلام في هذه المقالة عن لبنان خاصّة سنأتي على بيان الفوائد التي استفدتها الجهات من مرور الخط الحديدي بها

كانت شركة طريق المركبات العثمانية بين بيروت والشام قد سيّرت قبل انشاء السكة الحديدية المركبات بين بيروت وعاليه بناء على طلب المصطافين من البيروتيين في هذه القرية وكانت تلك المركبات تجري في اوقات معلومة مدة الصيف كله فضلًا عن عشر مركبات من مركبات الكراء كانت تتنقّل بين بيروت وعاليه في تلك المدة وكان عدد المركبات يتضاعف يومي السبت والاثنين

اما اليوم فيجري يومياً خمسة قطارات ذهاباً وإياباً بين بيروت وعاليه وصوفر وكثيراً ما تضيق بركّابها ولا حاجة الى بيان الامور التي عادت على القرى الواقعة على الخط الحديدي بالفوائد الغزيرة من اقبال الغرباء عليها وبذلهم المال اثناء اقامتهم فيها وغير ذلك

فبعد ان كانت تلك القرى حقيرة لا يوجد فيها الّا بعض منازل محدودة اصبحت

اليوم مدناً صغيرة كعاليه وبحمدون وصوفر الخ اذ قد تعدَّدت فيها المنازل المشيدة واتَّسعت حدودها ولا غرو اذا بيع الآن المتر المربَّع فيها من عشرة غروش الى اربعين غرشاً بعد ان كان ثمنهُ من قبل بين القرش والخمسة غروش

لا ريب في ان لبنان قد وُجد كسويسرا ليكون خاصَّة مَصيفاً وعلى ذلك يتوقف مستقبلهُ فهو اليوم بحكم الطبيعة مَصيف سوريَّة ومصر والولايات الداخلية بعد ان كان سكان سورية وفلسطين ومصر وما بين النهرين والقرمان يترحون قبل عدة سنوات في أيان الحرّ إمَّا الى السفر الى اوروبا و إما الى جبل لبنان

فلبنان يكفي بمركزه الجغرافي المصطافين من اسيا ومصر مؤونة السفر الطويل بحرًا والنفقات الطائلة التي يستدعيها ولاجل ذلك يؤثرون القدوم اليه على السفر الى جهاتٍ اخرى

وعلى اثر الأنزال (اللوكندات) التي أُنشئت فيه قد زاد عدد المتبايين عليه مع ان الطرقات التي تحتاجها ليست على ما يرام للخلل في انشائها وقلة العناية بها

لا مراء في ان الطبيعة قد خصَّت لبنان بما لم تخصَّ به ناحية في المعمور اذ يجد المقيم فيه ما يروق عينيه من المناظر على اختلاف مراده ومرغوبه

ففي قضاء المتن يجد المتعب الراحة والعليل الهواء النقي والماء القراح الصافي والمتنزه اجمل المناظر وبالجملة ان في هذا الجبل من المنافع ما لا يوجد في سواه

هناك غابات الصنوبر الغضة التي تستوقف انظار السائح وتجتذبهُ اليها متى تمهَّدت له طرق النقل الحديثة الكافلة لراحته . ولا سبيل الى عمران تلك الناحية الجبلية وتطرّق الناس اليها بدونها

أمَّا انَّ اللبنانيين المشهورين بالعزم والاقدام والذكاء في المهجر الذي يتسابقون اليه زرافات ووحداناً أن يفكروا في ان يستفيدوا من موطنهم الفائدة التي يبذلون في سبيلها النفس والنفيس في ارض الغربة

ان اول ما يجب الافتكار فيه والاهتمام بشأنه في لبنان هو ان يُجمع على مثال سويسرا بين قرى هذا الجبل البديعة المناظر الطيبة الهواء العذبة الماء ومدينة بيروت بسكة حديد اقتصادية

فاذا ما مُدَّت تلك السكة تألفت عندئذٍ الشركات لانشاء الأنزال (اللوكندات)

والوكالات التي تأخذ على نفسها امر نقل الركّاب وامتعتهم وبالجملة يجب ان يجد الغريب الذي يطلب الراحة في جبلنا الجميل كل ما يجده في محل آخر من المرافق

لا ريب في ان السوري والمصري يؤثران القدوم الى لبنان والاقامة بين اهله الذين يعيشون عيشتهما ويتكلمون لغتهما على الاصطياف في اوربا حيث لا يجدان الراحة والهواء والعافية التي يجدانها فيه

نسأل القارئ امعان الفكرة في الاعتبارات التي قدمناها على اختلاف انواعها ليتبيّن الفائدة التي تعود على الجبل بانشاء سكة حديدية تصل بيروت بمتنه وروابيه

ولمّا كنّا على يقين من ان المشروع الذي نُقدم عليه هو من المشاريع التي تكسب البلاد نفعاً جزيلاً رأينا ان نضع مقدّمة لهذا العمل وان نبيّن المواضع التي تمرّ بها السكة

ولانّ هذه السكة الحديدية مختصة بالركّاب وبالتجارة المحلية عُنينا بان نسهّل ما امكن الانتفاعَ منها للقرى التي يخترقها الخط والتي تتاخمهُ

يبتدئ الخط بقرب مخفر جسر نهر بيروت لجهة لبنان فيمرّ ببرج حمّود وسن الفيل والصالومي والدكوانه وبقرب مار روكز وعين ابو نجم والمنصوريه وعين ابو دبس وعين سعاده وبيت مري وبرمّانه والقابة وبعبدات وبقرب نبع عرعار وبجنس وبقرب مستشفى الراهبات اللعازريات وبحرصاف وبكفيا والمحيدثة ومار الياس شويّا والشوير وظهور الشوير والمروج ونبع بقتليع الشهير الذي سيكون نهاية الخط وعلوهُ ١٤٥٠ متراً تقريباً عن سطح البحر واراضيه صالحة جداً لاجل بناية الأنزال (اللوكاندات) على الطرز الجديد لراحة الركاب

فمع سوء حال الطريق التي تصل الآن هذه القرى المختلفة ببعضها يقصدها للاصطياف نحو من اربعمائة عائلة وفضلاً عن ذلك يوجد على طول الخط الذي ذكرناه اكثر من اثنين وعشرين نزلاً ما بين كبير وصغير تؤوي نحواً من خمسمائة نزيل وهناك ايضاً أديار ومدارس ومعامل حرير

فالقرى التي يخترقها الخط او تجاوره تبلغ خمساً واربعين عدداً ولا يقلّ عدد سكانها عن خمسة وثلاثين الفاً

من الامور التي لا ريب فيها هو انهُ اذا أُقيمت السكة الحديدية بين تلك القرى

وبيروت مقام اسباب النقل المختلفة الموجودة الآن بلغت حركة النقل عشرة اضعاف مبلغها اليوم. وليس قولنا هذا من باب الافتراض والتخمين بل قد استندنا فيه الى ما تبيَّن بالاختبار من الانتفاع بالخط الحديدي الذي يصل صوفر ببيروت

اجل ليس لنا ان ينفرد بالقيام بهذا المشروع وذلك لاسباب متعددة لا محل لذكرها هنا . واذا انتظرنا اقبال الشركات على القيام به وانفاق الاموال في سبيله بدون مساعدتنا المالية واملان رغبتنا بشأنه طال انتظارنا وذهب الوقت الثمين سدى

بَيْدَ اننا لو قدَّمنا قسماً من رأس المال لتسنَّى للساهمين اللبنانيين الدخول بصفة اعضاء في مجلس ادارة الشركة فتزيد ثقة الاهلين وتصان مصالحهم بوجود شركاء لهم في تلك المصالح في المجلس يغارون عليها ويحرصون على نجاح المشروع. وفضلاً عن ذلك ان مساعدتنا المالية على القيام بهذا المشروع تجرّئ المتموّل الاوربي على معاونتنا فيه بماله

وما كنا ندعو اللبناني الى تلك المساعدة لولا علمنا باقتداره على القيام بهذا المشروع لانهُ قد جمع من المهاجرة ما يمكّنهُ من تثمير مالهِ بالامور النافعة له ولبلاده ولكن قلّة الثقة تحمله على دفن ما جمعهُ بعرق الجبين بلا فائدة. ولنا برهان على ذلك في ما انفقهُ في ابتياع عقارات واراضٍ لا يزيد معدَّل ريعها على واحد ونصف او اثنين في المئة

ولا يخفى ان الخط الذي يراد انشاؤه لا يُعتبر فقط من المشاريع الوطنية بل من المشاريع التي تمكّن اللبناني الذي يبذل المال في سبيلها من ان يقتبس منها فوائد تجزية اكيدة لا يجدها في سواها

قلنا في ما سبق لنا من الكلام ان ما بسطناه لم يكن إلَّا نظرة اجمالية في المشروع ولكن لا بدَّ من ان يطرأ عليه بعد التعمُّق في درسه بعض التعديل ويثبت بعض القضايا التي لم تزل في موضع الريب سواء كان بالنظر الى مدّ الخط ام الى الانتفاع منهُ من الامور التي يمكننا تأكيدهُ منذ الآن بالاستناد الى ما اختبرناهُ من الاشغال النافعة مدة نصف قرن هو ان الخط الذي يراد مدّه في اجمل روابي لبنان ومرتفعاته لا يصادف انشاؤه صعوبة اصلاً لان بوسع لبنان ان يقدّم لنا العملة اللازمين للقيام بمشروعنا سواء كان للتخريب ام للبناء ام لاقتصاب الحجارة ام لاقتلاعها ام للتجارة الخ

فضلاً عن قرب الموادّ وجودتها كالكلس والخشب والحجارة…

ثمّ ان السكة الحديدية ستكون من النوع الضيّق ومن الراجح انها ستُسيَّر بواسطة الكهرباء، وهكذا يتسنّى اذا اقتضت الحال للقرى التي يخترقها الخط ان تُنار بالنور الكهربائي

وكم من أمثال هذا الخط يُنتفع منها او يُعنى ببنائها في اوربا واميركا ولاسيا في سويسرا البلاد التي تكثر فيها الجبال كما تكثر في بلادنا . غير ان جبال سويسرا تختلف عن جبالنا بكثرة العقبات فيها . ومعظم هذه الخطوط هي جزيلة الفائدة ايناً كانت . فعليه ليس من ريب في ان المنفعة التي تصيبها البلاد من هذا الخط ستكون جزيلة أكيدة ولذلك نستنهض همة الرجال الذين يقدرون المشاريع النافعة قدرها والذين يوقنون وقتهم واختبارهم وذكاءهم واموالهم على نصرتها بنية الخير العام وتوسيعاً لنطاق ثروة البلاد للاهتمام بهذا المشروع والاقبال عليه فان الظروف التي صرنا اليها تساعدنا على تحقيق الأمل ولاسيا ان لنا بحضرة صاحب الدولة قوميجيان باشا المتصرف الجديد ضمانة لنجاح مشروعنا

فنوجه الآن الى هذه المهمّة انظار مواطنينا الذين مكّنتهم الظروف من السفر الى اميركا واوربا وانظار ارباب العقول الثاقبة الذين خبروا النافع التي تنشأ عن بناء الخطوط الحديدية، ونتشفّع بعامل الغيرة على المصلحة الوطنية خطة التقدم السريع الذي تخطّت اليه الصناعة في اوربا وليس اشهر واشرف من الحركة التي تحمل ذوي العقول السامية على السير في هذه السبيل وتبث فيهم حرارة الرغبة في استنباط الوسائل التي ترفع الشعب وترقّيه وتوفّر له الرغد والنجاح

فلماذا لا نقتدي باخواننا في الغرب بتخصيص معظم وقتنا واموالنا في المشاريع التي تعود على وطننا بالنفع الجزيل ؟ . ولماذا نقضي على انفسنا بالتأخر في طريق التمدن والرقي والعمران ؟

سياحة
في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تابع)

٦ سفرتنا من باتِه الى حصن كيفا ودير المخر

غادرنا باتِه سحر الجمعة ١٦ ايلول قاصدين حصن كيفا ومررنا بقرية (كفرجوزه) وفيها نفر من النصارى الكلدان كان يتردَّد عليهم قسّ باتِه السرياني الكاثوليكي ويوزّع عليهم الاسرار. ومعظم اهلها مسلمون من المحلّميّة. ثم هبطنا بقعة فسيحة نضرة تتفجّر فيها الامواه وتسقي رياضها الجميلة الخصيبة. ثم تسنَّمنا جبلاً عالياً نالتنا في توقّله مشقَّة كبيرة حتى انتهينا الى قنّتهِ الشاهقة مؤملين الوصول الى حصن كيفا ولكن سا. ظنُّنا لأن صاحبنا المكاري كان جاهلاً تلك الطرق. فاسترحنا هنيهة ثم اخذنا في الهبوط بين الجبال فأعيانا السير ومللناه ومع هذا كلّه صبَّرنا النفس على هذا العنا. الملّ حتى حصلنا في قعر ذلك الجبل فألفينا فيه مزارع وحدائق تتهمر فيها المياه بشدَّة ثم عكسنا الى الشمال فلمحنا صخوراً ملساً. تعلوها قلعة مبنيَّة بحجارة صغيرة تشاكل الآجرّ ثم جرينا في مسالك مستصعبة فعطف بنا الطريق الى اليمين وهبطنا بين قلعتين ملتويتين فسِرنا وتيامنَّا ثلاثاً حتى افضى بنا السير الى الحصن فشاهدنا من الجهتين صخوراً منقوبة اتخذها اهل البلد لثواهم وحوانيتهم وعلى تلك الصخور قلعتان شاهقتان متقابلتان قد ذهبت برونقهما وعظمتهما صروف الزمان في احداهما بيوت شتى يقطنها الاهالي وفي الاخرى بيوت قلائل

فجلسنا هنيهةً ريثما نستريح ثم قصدنا القلعة فقرأنا على بابها الكتابة التالية باحرف عربيَّة:

« امر بانشاء هذه العمارة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى سلطان غازي بن محمد بن ابي بكر بن عبدالله توران شاه (١ الايوبي خلَّدهُ الله تعالى سنة . . . »

(١) توران شاه هو اخو صلاح الدين الايوبي (١١٧٥ – ١١٩٣) م

وكان رقم السنة المبني فيها باب القلعة ممحواً أو مشوهاً فلم نقوَ على قراءته. ثم اننا رقينا الى القلعة ورأينا في ناحيتها الشمالية داراً فخيمة كانت تشغل بلاط الملك فيها رواق يُطلّ على دجلة وداخل الدار سرب يتّصل بالنهر . فسرّحنا ناظرينا في تلك المشاهد الرائعة المرعبة وخطرت على بالنا الحوادث التي جرت فيها على عهد ملوك الفرس والروم والمسلمين والاتراك والاراتقة وغيرهم في ذلك الحصن الحصين وما آل اليه من الدمار والخراب . ورأينا قاعدة كبيرة من آثار الفرس تتخلّل دجلة . قيل ان الروم باشروا انشاءها والفرس انجزوا بناءها ثم انحدرنا من القلعة الى الربض وفيه بضعة خمسين دكّاناً . ويبلغ عدد سكان الحصن نيّفاً وخمسة آلاف معظمهم مسلمون ومنهم نصارى من مديات وماردين وقرى ديار بكر وللبروتستنت مدرسة فيها

ثم اننا خرجنا خارج البلد فرأينا منارة شاهقة لجهة الشمال فيها كتابة كوفية والى غربيها جامع كبير تصدّعت جدرانهُ وقد صِينَ بابهُ وعليه كتابة عربيّة تتناول اسماء الله الحسنى باسرها واسم السلطان سليمان غازي بن محمّد الخ كالكتابة المرقومة اعلاه . وتاريخ هذه « في ذي الحجّة سنة احدى وثمانمائة وعشرة (كذا) » اعني سنة ١٤٠٨ م وعلى الباب الصغير مرقوم اسم « عليّ بن حسين بن عزّ الدين تغمّدهم رحمه (كذا) »

وفي ناحية البلد الجنوبية منارة أخرى بحجر اصفر قلّتها مهدومة . وكانت الدور فيما سلف خارج البلدة على ضفّة دجلة وفي يومنا ليس فيها بيت واحد وكان لها ثلاثة اسوار يلي احدها الآخر ورسومها باقية حتى يومنا يلحقها من كلتا الجهتين صخور منقورة بمثابة دور

واعلم ان حصن كيفا من اوثق المعاقل وامنعها ركناً واقدمها عهداً دوّخها ملوك الفرس تارة وطوراً ملوك الروم كما نوّهنا . وفي افتتاح القرن السابع سار اليها شهربراز او روميزان قائد عسكر كسرى وحصرها سنتين وفتك بالروم الذين فيها سنة ٦٠٤ (١ ثم دخلت حصن كيفا في حوزة المسلمين ثم وليها بنو مروان الكردي

١) تاريخ ابن العبري المدني السرياني (ص ٩٣)

(سنة ٩٩٠–١٠٩٥) ولمّا زحف ابو علي ابن اخت باذ الكرديّ اليها وكانت بها امرأة باذ تزوّجها وملك الحصن وسائر الحصون التي كانت لخاله (١ ثم ان ابن دمنة قتل ابا علي بدياربكر فخلفهُ اخوه ممهّد الدولة ثم ابو نصر بن مروان وآخر من ملك بني مروان منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة (+١٠٩٠) وبعد ذلك العهد دخلت حصن كيفا في حوزة ملوك ماردين الأرتقيّين. واوّل من دوّخها منهم سقمان بن ارتق جدّ اصحاب الحصن في عهد ابن الاثير (١٠ : ١٠٢ و١٤٣ و١٤٨) وتوفي سقمان بالقريتين عند النبك سنة ١١٠٣ فخلفهُ ابنهُ ابراهيم سنة ١١٠٤ – ١١٠٨ (ابن الاثير ١٠ : ١٦٢ و١٦٣). وعام ١١٠٨ صار داود بن سقمان بن ارتق ملكاً في حصن كيفا (ابن الاثير ١١ : ٣٦) فخلفهُ سنة ١١٤٧ فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا واكثر دياربكر وقام بعدهُ سنة ١١٦٧ ولده محمد نور الدين (ابن الاثير ١١ : ١٤٨) فغزا الخابور ونصيبين وسنجار وامتلكها (ابن الاثير ١١ : ١٦٢)

ولمّا ظهر صلاح الدين الايوبي سنة ١١٧٥ سار الى حرزم تحت ماردين سنة ١١٨٣ فواجهه نور الدين الارتقيّ صاحب الحصن وذكّره بوعده له لمّا كان عندهُ في الشام. فاستصحبهُ صلاح الدين الى الموصل وسنجار ثم اتى بهِ الى آمد فملّكهُ اياها حسب وعده (٢ وسنة ١١٨٥ توفي نور الدين الارتقيّ صاحب الحصن وخلفه ابنهُ الاكبر قطب الدين سقمان. ولمّا صار صلاح الدين الى ميّافرقين وحضر عندهُ قطب الدين اقرّه على ملك ابيه (ابن الاثير ١١ : ٢٣٢) وتوفي سنة ١٢٠٠ وخلفهُ ناصر الدين محمود اخوهُ (ابن الاثير ١٢ : ٧٦) الذي ابتنى في سور آمد برجاً لتمكينه سنة ١٢٠٨ كما يُستفاد من الكتابتين العربيّتين اللتين اكتشفهما عام ١٩٠٧ في آمد الجنرال دي بيليه الفرنساوي (٣ وفوقهما صورة نسر ذي رأسين وهو شعار بني ارتق كما يُرى على نقودهم التي حصلنا على قسم منها في ماردين

وتوفي محمود سنة ١٢٢٢ وخلفهُ الملك المسعود (ابن الاثير ١٢ : ١٨٩) فاستولى

---

١) تاريخ ابن الاثير (٩ : ٢٦) وتاريخ الدول لابن العبري (ص ٣٠٢)

٢) ابن الاثير (١١ : ٢٢٣)

٣) راجع المشرق (١٠ : ٧١٩)

على حصن كيفا سنة ١٢٤٩ الملك المعظم ابن الملك الصالح وسكنها الى ان مات والده فانطلق الى الديار المصرية واستلم ملك ابيه (١. ولما ظهر التتر ودوّخوا البلاد ودمّروها اقبل هولاكو سنة ١٢٥٩ الى بلاد الجزيرة واحتوى عليها الأماردين فانهُ اقرّ عليها صاحبها الملك المظفّر (+ ١٢٨٥) وكان محمّد صاحب حصن كيفا اذ ذاك من قبل الأيوبيين وسار المظفّر اليه في جيش فظفر بهِ محمّد وبقي في ملكهِ. وخلف محمّداً ملوك تولوا الحصن من قبل الايوبيين حتى سليمان غازي ١٤٠٨ الذي ذكرناه آنفاً. ثم دخلت حصن كيفا بعد ذلك بقليل في حوزة السلاطين العثمانيين

وكانت حصن كيفا اسقفيّة خاضعة لمطرانية ميافرقين وكان لها اسقف نسطوري يقال لهُ سبر يشوع مطران حصن كيفا وارزون سنة ١٥٧٤ م كما يستفاد من كتاب شرطونيات يخصّ مكتبة الكلدان بماردين. بل كان سنة ١٤٨٣ مطران للنساطرة اسمهُ ايليا كانت ابرشيته تمتدّ من نصيبين الى حصن كيفا على ما جاء في ميامر وَرْدا النسطوري خاصّة مكتبة الكلدان بماردين ايضاً. وسنة ١٦٢٨ كان في حصن كيفا يشوعياب النسطوري مطران سعرد وحصن كيفا كما يتضح من تاريخ اناجيل عربيّة لآحاد السنة واعيادها حسب الطقس النسطوري يخصّ المكتبة عينها

وجاء في اخبار السريان اليعاقبة ان مسعوداً أُقيم بطريركاً لطور عبدين سنة ١٣٦٦ بأمر وزير حصن كيفا وانّ فيلكسين مطران حاح الذي صار بطريرك طور عبدين سنة ١٤٦٦ توفي في حصن كيفا. ولم نعثر على اسماء مطارنة او اساقفة يعاقبة أُنيطت برئاستهم رعاية هذه البلدة الروحيّة. والظاهر ان النساطرة فيها كانوا اكثر واقوى من اليعاقبة حتى القرن السابع عشر

ولم يتيسّر لنا البقاء في الحصن فقصدنا ديرًا قريباً لليعاقبة يقال لهُ دير المُخَر ويسمّى دير الصليب الاوّل ايضاً موقعه الى شرقي شمالي الحصن فوق دجلة. وما كدنا نصل الى الدير حتى شاهدنا نفرًا من رجال ونساء على بابهِ يدقّون الحنطة حسب عوائد بلادنا الشرقيّة وذلك ان الحنطة بعد ان تُسلق وتجفّف يومين او ثلاثة

١) تاريخ الدول (ص ٤٥٢)

يضعونها في جرنِ حجرٍ كبيرٍ او على صفـاةٍ فينهض اثنان في يد كل منهما دقّاقة يتناوبان في الدقّ نساء او رجالاً ويصيحان باعلى صوتهما فاذا تعبا اتى غيرهما ريثما ينتهي العمل . وفي تلك الحال رأينا شاباً مبتدئاً في الرهبنة فتقدّمنا اليهِ بان يرينا الدير ويتكرّم بان نبيت ليلتنا فيه . فدخلنا فاستطلعنا طلع حالنا والتمسنا علّة قدومنا فصرّح بانّ لديهِ رسائل تأمرهُ بتحريج الدخول على من كان مثلنا . فكتمناه امرنا متجاهلين وخضنا معهُ في حوادث سريانيّة وأفادنا ان قد حظر عليهِ الراهب صاحب الدير المتغيّب اذ ذاك ان يبرز لنا الكتب ولكننا بواسطة شقيقنا يوسف حصلنا على تاريخ كتاب حسّايات في الدير هذا تعريبهُ :

« انتهى كتاب الحسّايات سنة ١٨٦١ (١٥٥٠ م) في ٩ تشرين الثاني نُسخ لدير مار آحا وهو دير الصليب المجاور لقرية طاقية »

وفي الكنيسة ايضاً نتفيث حديث نُسخ في عهد البطريرك بطرس (+ ١٨٩٤) وعندهم نسخة من كتاب (ܦܘܪܣ ܫܡܗ̈ܐ) وهو غراماطيق سرياني للمفريان اسحق ابن جبير السريانيّ الكاثوليكي (١

وكنيسة الدير صغيرة حقيرة ليس فيها شيءٌ يستحق الذكر وينطوي على عدّة غرف يسكنها نفر من اليمانية . وفيه راهب واحد فقط وخارج الدير معبد حقير على اسم مار آحا . فبتنا ليلتنا فيه راقدين على عرزال فوق سطح الدير

٧ : سفرنا من دير المخر الى حاح (ܚܚ)

وعند ابتسام فجر السبت ١٦ ايلول غادرنا الدير وركبنا الى قرية دفنه ولعلّها حردفنه حيث كان دير للنساطرة واهلها مسلمون قاطبةً وفي واديها ديرٌ مردوم رسومه مطموسة . ثم انحدرنا الى وادٍ تجري فيه المياه الغزيرة الصافية فاسترحنا هنيهة واخذنا في الصعود بين احراج من شجر البلّوط وغيره والصخور تحيطها فيها اعشاش صنوف الطير والبلابل ورأينا قطعان بقر وغنم تنتجع الكلأ وعلى ربوة تلك الجبال قلعة شامخة تُعرف بقلعة دفنه تُطلّ على الغابات . ولمّا انتهينا الى قلّة ذلك الوادي رأينا قرية تعرف بدير ديل (ܘܣܕܐ ܘܐܣܠܐ) واهلها من المسلمين المحلّميّة

١) راجع المشرق (١١ : ٣٦١)

فيها الينابيع الطافحة والحدائق الغنّاء. وفوقها قلعة صغيرة مبنيّة بالحجارة . وتعهّدنا فيها ديراً مقوّضاً هو دير عطانية باسم سمعان الشيخ انحدرنا الى عمقه فلم نعثر على كتابة فيه. وفي جوار الدير آثار دور ورسوم ابنية دائرة (١

ثم سرنا من دير ديل الى قرية بِنكِلبه وبالقرب منها قرية قافش يثويها قوم من المحلّيّة ايضاً اراضيها خصبة. وتتقدّنا فيها اطلال دير كان يُعرف بدير مار ديمط. ورأينا في بنكلبه مصلّى حقيراً يُعرف بمصلّى شمعون الموزي (ܫܡܥܘܢ ܕܙܝܬܐ)
ويثويها بضع عشر عائلات يعقوبيّة يقصدهم احيانًا راهب من دير الثغر المذكور يوزّع عليهم الاسرار ويتقاضى منهم العشور او البواكير . ولمّا رأونا اقبلوا للسلام علينا ومعهم فاكهة لنباركها والحّوا علينا في البقاء لديهم تلك الليلة فشكرنا لهم حفاوتهم ومحبّتهم واستخبرناهم عن حالهم فصرّحوا لنا انهم متلهّفون الى وجود كاهن لديهم فتوجعنا على سوء حالتهم الروحيّة وودّعناهم شاكرين

ثم استأنفنا المسير في جبال حلّة وفلوات وعرة ومررنا بتلّ يعلوه ديرٌ يسمّى دير إكفانا تعذّر علينا البلوغ اليه وذلك الدير مشيّد على اسم يوحنا وله تذكار في غرّة ايار يُعرف بتذكار « ܕܝܪܐ ܩܕܝܫܐ ܕܟܦܢܐ ܕܠܥܠ ܡܢ ܐܙܐܙ » مار يوحنا اكفانا فوق زاز (٢ فواصلنا السير حتى وصلنا الى زاز

زاز قرية قديمة يسكنها اليعاقبة وعلى تلّها دير شاهق فسيح الارجاء. يُنسب الى ديمط وكنيسته على نمط كنائس طور عبدين القديمة لها ثلاثة اسواق . امّا بناؤها فستجد فان تيمورلنك على ما ذكرنا في التوطئة محق عدّة من آثار طور عبدين وهدّ كنائسه وسلبها حليها ومن جملتها هذه الكنيسة واذاق الاهالي آلاماً مبرّحة وكان ذلك في افتتاح القرن الخامس عشر . ولمّا انثنى راجعاً الى بغداد عُني الاهلون ببنائها بحجارتها الاولى على نسقها القديم وجعلوا الآجرّ مكسّراً في سقفها . ولم نرَ كاهناً في زاز غير ان معلّم المدرسة احتفى بنا واطلعنا على حالة القرية وذكر لنا ما اتّصف به اهلها من

١) ورد ذكر هذا دير ديل في كتاب يوحنا صاحب الدوالي الذي نسخهُ سنة ١٩٨٠ (١٦٦٩ م) سود في دير ديل (ܕܘܝܪܐ ܕܡܫܡܫܢܐ ܕܥܠ ܩܝܡܐ) دير عطانيه شرقي مدينة حصن كيفا

٢) كلندار الاب بترس (ص ١٨٢)

البغضاء والشحناء والخشونة فقال ان كلمتهم متفرقة وقد انقسموا على حزبين يصارع احدهما الآخر وان الفتك فاشٍ بينهم والراحة مفقودة لديهم وقد تسرّب نفر منهم المبادئ البروتستانية · وتفقّدنا في زاز معبدًا للعذراء مريم بجزءاه فاذا هو اشبه بكوخ منهُ بمعبد لا تقام فيهِ الصلاة الّا يوم عيد انتقال العذراء فقط

وشاهدنا في فناء دير مار ديمط ضريحًا تاريخهُ سنة ١٨٥٦ (١٥٤٥ م) وفوقهُ كوّة فيها كتاب حسّايات لاعياد الصيف هذا تاريخهُ معرّبًا :

نُسخ في عهد البطريرك نعمة الله الشهير والقربان عبد النبي سنة ١٨٧٨ (١٥٦٧)

وقرأنا تاريخ كتاب حسّايات آخر نُسخ سنة ٢١٢٤(١٨١٣م) في عهد البطريرك متى

وغربي زاز مصلًّى لمار جبرائيل أطلالهُ ظاهرة حتى اليوم · وفي زاز ثمانون عائلة يعقوبية وكان نفر اعتنقوا الايمان الكاثوليكي ثم عادوا الى مذهبهم · وفي هذه الآونة انضمّ الى كنيستنا كاهنهم القس ايليا في بضع عشر عائلات

واشتهر في زاز مسعود بطريرك طور عبدين سنة ١٤٩٠ الذي أبرم الحرم على من يرسم بعده بطريركًا لطور عبدين فلم ينفذ حرمهُ كما نوّهنا في كلامنا عن مديات ·

وغربي زاز اطلال بيعة شهيرة باسم مار جبرائيل ليس فيها من الآثار شيء يذكر

ثم شخصنا من زاز الى أولَم ورأينا رسوم دورها واطلال بلاط ملكي شادهُ فيما قيل يوحنا ملك الارمن في عهد التتر ودمّرهُ تيمورلنك وكانت في البلاط كنيسة على اسم مار زخيا (وهو القديس نقولاوس) · وسمعنا مرارًا شتى من افواه الجبليين ان الملك يوحنا الارمني شيّد ورمّم كنائس كثيرة في جبلهم دمّرها تيمورلنك لمّا استعصى عليهِ الجبليّون ولم يؤدّوا لهُ الطاعة

وركبنا من أولَم الى حاح وهي هجّه ومن مسافة بعيدة لحنا قبّة كنيستها الفاخرة فوصلنا اليها عشيّة الاحد عند الزوال

٨ : سفرنا من حاح الى باقسيان

بتنا ليلتنا في حاح وصباح الاحد ١٧ ايلول رُمنا ان نتعهّد الكنيسة واخذنا الاندهال اذ وجدنا كاهنهم غائبًا فاستمرّ الاهالي دون حضور القداس · تلك

حالهم على ما قالوا اغاب الاحايين · وكان بودّنا لو يتاح لنا ان نقيم الذبيحة الالهية لكونه يوم الاحد فلم يتيسّر لنا فصمّمنا النية على الذهاب الى باقسيان حيث لنا معبد صغير جديد وجماعة حديثة · ومن ثمّ طفقنا نطوف القرية متفقّدين آثارها الحريّة بالاعتبار · واجلّ تلك المعاهد واحسنها واقدمها كنيسة والدة الله تضارع كنيسة دير الزعفران في هيئتها وشكلها وهي على شكل صليب مزدانة بالصور والشاعر البيعيّة سوقها الاوّل معقود بالاجرّ كله ويعلو السوق الثاني قبّة شاهقة فخمة يليها قدس الاقداس وطول الكنيسة عشرون ذراعاً ينيّف ووراء المذبح كوّى منقوشة كنقش بيعة دير الزعفران ويزعم اهل باقسيان انّها مبنيّة من عهد الرسل · والانجيل الكنيسة مكتوب في عهد البطريرك شكرالله والمفريان شمعون الطور عبديني الذي صار بطريركاً وشكرالله في قيد الحياة سنة ١٦٤٠

وفي شمالي بيعة والدة الله دير مار سابا الشهيد وهو من افخر الاديرة واعظمها لا تزال جدرانهُ ماثلة وكنيسته على طرز كنائس طور عبدين الراقية الى القرن السادس وما بعدهُ · واحد اروقتها معقود بالاجرّ والباقي مهدوم برمّته والى شمالي البيعة سوق طويل يتضمّن ثمانية اروقة من كلا الناحيتين وباب الكنيسة الى جهة الشمال · وفي السوق الثاني بابان ايضاً منهما يدخل الداخل الى الكنيسة · ويعلو المذبحَ كوّة فوقها صليب حولهُ آثار نقوش · وما عدا الباب الشمالي فللكنيسة بابان آخران غرباً وجنوباً وخارج الكنيسة الى جنوبيها مصلّى الصيف كالعادة وفي الرواق سبعة حجار قبور اقدمها مكتوب هكذا بالسطرنجيليّة :« ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܬܡܐܐ ܘܫܒܥ ܕܝܘܢܝܐ » سنة ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) وعلى حجر آخر « ܢܚ ܒܗ ܚܡܫܡܐܐ ܫܢܬ ܐܠܦ » ربان يوحدبشابا سنة ١٥٠٤ (١١٩٣ م)

وتجاه الكنيسة الى الشرق صومعة شاهقة قد هُدّت جهتها الشرقيّة وبابها يشرف على الشرق

امّا مار سابا صاحب هذا الدير الفخم فاشتهر في اوائل القرن الرابع للمسيح كما يستفاد من سيرة حياته ومن الكلندار الذي نشرهُ الاب بترس النسوعي · فانهُ جاء فيه في ٢٣ كانون الثاني ما تعريبهُ : « مار سابا صاحب بيعة حاح الكبرى والثني عشر الف شهيد معهُ » · وفي ١٦ آب « استشهاد مار سابا شهيد كنيسة حاح الكبرى

وعمره اثنتا عشرة سنة وثمانية اشهر . عُذب مدةً اربعمائة وتسعين يوماً * . وفي ١٦ نيسان عيد لاثني عشر الفاً وستمائة وخمسة وثلاثين شهيداً تتلمذهم مار سابا

وقد نشر الاب بيجان الفاضل في المجلّد الرابع من اخبار القديسين سنة ١٨٩٤ (ص ٢٢٢—٢٤٩) سيرة هذا الشهيد المعظم نقتضب منها ما يلي : ان شابور ملك الفرس ٣١٠ — ٣٨٠ سار في اواسط سني مملكتهِ الى بازبدى وبلاد الروم وغزاها ودوَّخها واقطع ابنهُ ادرفرزيرد من نصيبين الى النهر المتن (ܗܕܡܠ) هو نهر الفوريّة (؟) وابنهُ زميسف من النهر الى دجلة . فنكّل زميسف بنصارى ملكهِ كأبيهِ حتى انهُ لم يشفق على نجلهِ الوحيد سابا واسمهُ بالفارسيَّة فيركشنسف فانزل بهِ عذابات فادحة طويلة لتدينه بالنصرانيَّة واذ لم يتمكَّن والده من اقناعه وحملهِ على السجود لآلهة الفرس كتب الى والده شابور فاوفد شابور رسالة في قتله دون تربُّث . فزُجَّ سابا في السجن مراراً ونُكّل بهِ مدةً اربعمائة وتسعين يوماً وكان الله يعضده . واخيراً هجم عليه كوباي قائد عسكر ابيهِ وصقع راسهُ بالسيف خمس دفعات فلم يقوَ عليهِ فشجَّعهُ سابا البطل فتقدَّم كوباي وطعنهُ في جنبه وقتله والقوا جثّتهُ في الهوَّة حيث كانت زُجَّت جثث الشهداء الذين سبقوه . وتمَّ ذلك في ١٦ آب وكان عمرهُ ١٢ سنة وثمانية شهور . ثم ان تاذق وايثالاها عُنيا بجسده وجعلاه في صندوق ذهب وُضع في دار تاذق حيث كان يصلّي المسيحيُّون . وهناك دُفن ايضاً الاسقف اندراوس وانستاس خادم سابا ورفيقه في الاستشهاد . وعلى اسم سابا بُني ديرسي دير التبع . واشهر من حاح يزيدين بن ادورميز ولهُ عيد في ٢١ ايلول وقد نشر سيرة حياتهِ الاب بيجان (٢ : ٥٦٠) ويونان المطران الذي استشهد في حماة ولهُ عيد في ٢٨ ايلول

وجنوبي شرقي حاح دير يقال لهُ ܡܘܫܐ ܚܒܫܝܐ على اسم موسى الحبشيّ اطلالهُ ظاهرة وبالقرب منهُ كذلك ديرٌ يعرف بالدير الاحمر

وشمالي حاح دير لمار سرجيس وباخُس في رواقهِ الغربيّ حيث المقبرة اثنا عشر حجراً مكتوبةً بالسطرنجيليَّة اقدمها راقية الى حزيران من السنة ١٥٠٠ (بنيّف) الموافقة لسنة ١١٨٩ م وعلى حجر آخر تاريخ سنة ١٦٠٠ (١٢٨٩ م) وعلى باب الكنيسة الشمالي صليب تحيطهُ آية الزبور بالسطرنجيليَّة : « انظروا اليهِ وتوجَّوا ووجوهكم لا

تخزى ٥. والى الجنوب باب سُدَّ بحجرين مربّعين منقوشين نقشاً لطيفاً . وداخل الكنيسة مصدَّع كلّه

وفي منحدر حاح الى غربيها مصلى صغير مسقوف بالحجارة يسمى مار قشيشا

وتعهّدنا ايضاً في حاح بيعة الشهيدة شموني ولم يبق منها سوى رسم المذبح حيث الفينا هيئة الصليب المقدَّس وهي مملوءة تبناً وقشاً للمواشي. قيل انها تحتوي كتابات ولكن التراب والتبن وما شاكلهما قد طمساها فتعذَّرت علينا مشاهدتها

وتفقَّدنا ديراً آخر للمجدلية ولكنيسة الدير ثلاثة اسواق اطلالها باقية وفيها نقوش ظريفة وتحت رواق مذبحها حجرة كبيرة منكسة مكتوبة بالسطرنجيلية استبهمت علينا قراءتها

وشرقي جنوبي حاح قرية فيها دير حاديشابا وقد استولى عليه الدمار والبوار

فمن ذلك كله يستنتج ما كان لحاح من الاهمية الكبرى والمرتبة العظمى . وقد قام منها رجال افاضل غيورون وعلماء ماهرون . منهم فنحاس الحاحي الشهيد (بيجان سير القديسين ٤ : ٢٠٨–٢١٨) خرج من تنيس بمصر الى جبل الابيض وتتلمذ لمار اوجين في قرية جنبكي . وقتلهُ انيحا في فنك من اعمال جزيرة ابن عمر ودُفن في قرية أزيخ وشُيّد فوقهُ دير للراهبات وبيعة وسُمّي دير النساء على اسم فنحاس بهمّة آحا رئيس دير الزرنوق بطور عبدين. ولفنحاس الشهيد عيد في ٢٨ نيسان

ومنهم آبايي الحاحي رئيس دير قرتمين وله عيد في ١٨ تشرين الثاني . ومنهم مار قشيش صاحب المصلّى الذي ذكرناه في حاح وله تذكار في ١٥ ايلول . ومنهم يزدين بن ادورميز (مهريار : بيجان ٢ : ٥٦٠) الحاحي وكان انتقالهُ في ٢١ ايلول في عهد يزدجرد ملك الفرس وماروثا مطران ميافرقين سنة ٤٠٠ م. ومنهم الاسقف يونان الحاحي الذي استُشهد في مدينة حماة في ٢٨ ايلول . ومنهم مار عامي حدنا حضّص الحاحي اسقف طور عبدين الذي نال اكليل الشهادة في مدينة طانازين وله تذكار في ٣٠ ايلول

وجلس في حاح جملة من الاساقفة منهم فيلكسين الذي صار بطريرك بطور عبدين سنة ١٤٦٦ واشتهر ايضاً من حاح في افتتاح القرن الرابع عشر الربّان جليبا صاحب كلندار الاعياد السنوية الذي نشره الاب بترس اليسوعي

وحاح يسكنها اليعاقبة ويناهز عددهم مائة بيتٍ وقد ارتدَّ نفر منهم الى الايمان الكاثوليكي ثم عادوا الى مذهبهم

ولمَّا اشبعنا النظر من آثار حاح المرئية بالعجلة والاعتبار قصدنا باقسيان وهي شمالي شرقي حاح لنقيم القدَّاس الالهي في معبدنا الحديث توصلنا اليها ضحوة الاحد

٩ : من باقسيان الى باعربايا

ما كدنا نبرح قرية باقسيان حتى خفَّ لاستقبالنا القس ايليا وجماعتنا الحديثة وهم يبلغون ثلاثين عائلة واحتفوا بنا . فقصدنا البيعة توًّا واقمنا الذبيحة الالهيَّة ثم خرجنا الى دار القسّ ايليا وسُررنا جدًّا بمشاهدة ابناء طائفتنا وحرّضناهم على اللبوث في الايمان الكاثوليكي المقدَّس . وكان انضمامهم الينا سنة ١٩٠٨ بغيرة القسّ حبيب قراكله الاقرامي

وباقسيان هذه تعرف بقرية قُسطان (ܩܘܣܛܢ) تشمل اليوم ثمانين بيتاً وموقعها في وادٍ منخفض تحيطهُ تلال وروابٍ فيها الكروم واشجار البلوط وما شاكلها

واشتهر منها المطران جبرائيل رئيس دير العمر († ٦٦٨) وايليا الشهيد في غرَّة شباط . وقرأنا في فنقيث اليعاقبة التاريخ التالي تعريبهُ :

« انتهى في ايَّام البطريرك متى وبطريركي طور عبدين آحا واشيا ومطران دير الصليب يوسف سنة ٢١١٦ (١٨٠٥ م) نسخهُ القس ملكا ابن القس عبدو من قسطان وهي باقسيانه ليعة مار ايليا باقسيان »

وبيعة اليعاقبة مشيَّدة على اسم ايليا الشهيد وعيده في غرَّة شباط كما نوَّهنا وليس فيها شيءٌ من الآثار التي تُذكر

وعصر النهار سرنا الى دير الصليب وهو دير كبير قديم اشبه بفندق منهُ بدير يثويه نيِّف وعشرون عائلة من اليعاقبة رجال ونساء صغار وكبار . ولم نشاهد فيه سوى قسّ واحد . وهذه العائلات باسرها تشتغل في اراضي الدير وتقتات من ايرادها . والقرية التي تحت الدير دائرة مطموسة باسرها

وطالعنا فنقيث الدير المنسوخ سنة ٢٢١٣ (١٩٠٢ م) فقرأنا فيه انهُ كُتِب لدير الصليب ومار آحا ومار حوارا الذي لُقِّبَ عليه اسم دير ديل » (ܘܠܡܥܕܪܢܐ ܘܫܘܝܐ ܕܐܠܗܐ ܕܒܟܝܐ)

وخارج الدير معبد على اسم مار آحا فوق بابهِ حجر تاريخهُ سنة ١٣٢٥ لليونان (١٠١٤ م) وفيهِ مصلّى لبرصوما اليعقوبي

وصعدنا سطح الكنيسة فأشرفنا منهُ على قريتيْ باعربايا وكربوران امّا كربوران فمن اخصب قرى طور عبدين حولها سهل متّسع وبطائح غضّة نضيرة فيها مياه غزيرة تتألف من نحو ثلاثمائة وخمسين عائلة معظمهم يعاقبة لهم مطران والباقي سريان كاثوليك وارمن غريغوريون وبروتستنت ومسلمون . ولنا فيها بيعة سعى بانشائها السيّد يعقوب متى احمر دقنه على اسم ابينا مار افرام وجدّدها عام ١٩٠٧ احد الرهبان الافراميين القس حبيب قراكلّه القيور طولها عشرون ذراعاً في عرض تسع اذرع حافلة بالزينة البيعيّة . وفي كربوران بيعة قديمة لليعاقبة تُنسب لمار قرياقس سوقها الواحد معقود بالآجرّ وليس فيها آثار اخرى تستحقّ الذكر

امّا باعربايا ففيها اليوم كنيستان قديمتا العهد احداهما كنيسة مار استفانس والاخرى كنيسة سابا يوليانا الرهاوي فيها بضع ثلاثين عائلةً من اليعاقبة وفيها المياه الغزيرة الجارية والرياض الجميلة واهلها عائشون في السعة

وقد ذكرنا في المقدّمة ان طور عبدين كان يُسمّى باعربايا باسم هذه القرية وتسمّى القرى المجاورة لكربوران باسماء عربيّة حتى يومنا . وهي تخوم طور عبدين حيث يفصل بينها وبين قضاء جزيرة ابن عمر نهر القوريّة الذي سُمي النهر النتن لثقل طعمه وسوء مذاقه

وورد في المقدّمة على سيرة سابا الشهيد التي ألمعنا اليها في كلامنا عن حاح ما تعريبهُ :

« ان باعربايا تمتدُّ من نصيبين الى دجلة وكان الروم تارةً وطوراً الفرس يدوّخونها . ثم خصّت باعربايا ببلاد ما بين النهرين وارزن وبازبدى . استوطنها قوم من بلاد المدائن وما جاورها جاء بهم يوليانس قائد جيوش يوليانس الجاحد . وبعد هذا جُعلت نصيبين حدوداً فاصلةً للمملكتين الروميّة والفرسيّة فندت باعربايا في حوزة الفرس فهجرها نفر غير يسير من النصارى للضيم والعذاب الذي نالوه منهم . على ان شابور اعتنى بعمارتها واسكانها واقام لها عاملَين وهما زبيسف وادرفرزجرد وقمت حصّةُ هذا من نصيبين الى النهر النتن وحصّةُ ذاك من نصيبين الى دجلة . وسار شابور الى المدائن عاصمته (١

(١) يوحان سير القديسين (٤ : ٢٢٣ – ٢٢٤)

وقد استوفينا في المقدّمة الشرح من باعربايا واطلاق اسم طور عبدين عليها اليوم وفي ذلك كفاية

ثم أتنا عدنا الى باقسيان وقضينا ليلتنا في دار القس ايليا

١٠ً من هشتركه الى دير قرتمين او دير العسر

وسحر الاثنين ١٨ ايلول غادرنا باقسيان الى قرية هشتركه وفيها دير مار اذي الرسول ينعق فيه اليوم غراب الخراب. واطلال كنيسته تحاكي كنائس طور عبدين القديمة . اما مصلّى الصيف ففيه رواق رُقت حجارته كلّها بالسطرنجيليّة تدلّ على انهُ ثمَّ كانت مقبرة رهبان ذلك الدير . وقد كتبنا اغلبها بتعب غير يسير اليك نصّها حرفيًا حسب قدم عهدها

+ « ܐܬܢܝܚ ܡܢ ܥܠܡܐ ܗܢܐ ܓܒܪܐܝܠ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܪ̈ܟ »
انتقل من هذا العالم جبرائيل سنة ١٢٢٠ (٩٠٩ م)

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦܐ ܘܫ̄ ܕܢܘܚܐ ܠܒܪ ܐܠܝܐ ܡܫܡܫܢܐ » توفي القس ايليا سنة ١٣٠٠ (٩٨٩ م)

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̄ܙ ܠܒܪ ܐܒܪܗܡ ܡܫܡܫܢܐ » توفي القس ابرهيم سنة ١٣٠٧ (٩٩٦ م)

+ « ܘܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̄ܠ ܕܢܘܚܐ ܠܒܪ ܣܘܪܝܐ » سنة ١٣٣ (١٠١٩ م) مات ساويرا

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̄ܠ ܕܢܘܚܐ ܠܒܪ ܐܒܪܗܡ » سنة ١٣٣٠ (١٠١٩ م) مات ابرهيم

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̄ܘ ܕܢܘܚܐ ܠܒܪ ... » سنة ١٣٥٦ (١٠٤٥ م) توفي ...

+ « ܘܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̄ܣ ܠܒܪ ܫܡܘܐܝܠ ܡܫܡܫܢܐ. ܒܨܠܘܬܗ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܘܕܩܕ̈ܝܫܐ ܟܠܗܘܢ. ܒܥܘܒܐ ܕܐܒܪܗܡ.. ܟܬܒܗ ܕܘܝܕ ܘܐܘܢܝܣ ܒܥܘܢ ܨܠܘܬܐ » سنة ١٣٦٠ (١٠٤٩ م) مات القس شموئيل بشفاعة والدته تعالى والقدّيسين رسله في احضان ابرهيم . . كتب ذلك داود وايونيس يرجوان الصلاة

✝ ܒܫܢܬ ܐܠܦܐ ܘܫ̈ ܘܦ̈ ܕܝܘܢܝܐ ܢܦܩ ܡܢ ܥܠܡܐ ܗܢܐ ܡܠܝܐ ܒܟܘ̈ܬܐ ܘܫܢܝ ܠܚܝ̈ܐ ܚܕ̈ܬܐ ܓܒܪܐܝܠ ܩܫܝܫܐ ܘܪܝܫܕܝܪܐ «

سنة ١٣٨٠ (١٠٦٩ م) انتقل من هذا العالم الكرب الى الحيوة الجديدة جبرائيل القس ورئيس الدير

✝ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬ̈ ܘܥ̈ ... » سنة ١٤٧٠ (١١٥٩ م) ...

✝ ܫܢܝ ܡܢ ܥܠܡܐ ܗܢܐ ܘܫܢܝ ܠܘܬ ܡܪܗ ܪܒܢ ܝܫܘܥ ܒܫܢܬ ܐܠܦܐ ܘܚܡܫܡܐܐ ܘܫܬܐ ܕܝܘܢܝܐ » غادر هذا العالم وانتقل الى مولاه الرُّبان يشوع سنة ١٥٤٥ (١٢٣٤ م)

وقرأنا حجرًا على باب البيعة: « ܢܦܩ ܡܢ ܥܠܡܐ ܗܢܐ ܡܫܝܚܐ ܩܫܝܫܐ ܘܫܢܝ ܠܘܬ ܡܪܗ . ܟܠ ܕܩܪܐ ܢܨܠܐ ܡܛܠ ܡܪܢ » برح هذا العالم القس صليبا وانتقل الى ربه . كل من قرأ فليصلِّ (لاجلهِ) حبًّا بربنا

هذا كلهُ دليل ساطع على ان ذلك الدير المعظم كان زاهرًا في القرن العاشر الى القرن الثالث عشر . وقد هدّ اركانهُ وقوّضها تيمورلنك في جملة ما اخرب من اديرة الطور وكنائسه . ويسكن قرية هشتركه المسلمون وبضع عشر عائلات يعقوبية ليس عندهم قسّ يدبّر شؤونهم الروحيّة . وفي ظنّنــا ان اسم هشتركه مستحدث واسم القرية القديمة مجهول

ولمّا تعالى النهار واصلنا السير الى قرية كفرزه ومررنا بصومعة شاهقة في شرقيها منقورة في الصخر . وعند مدخل القرية معبد صغير مربّع مشيّد بحجارة ضخمة على اسم العذراء مريم كان متعبّدًا فيهِ راهب حبيس في ما سلف

ثم تعهدنا كنيسة كفرزه الكبرى وهي على اسم مار عزرائيل السيساطي الشهيد في عهد مكسيمانس قيصر الذي استحضرهُ الى رومية وانزل بهِ ضروب العذابات . وقد اورد اسمهُ ابن العبري في تاريخه البيعي في حبريّة طورانس الانطاكي (٢٩٨ — ٣٠٩) ولعزرائيل صومعة ايضاً فوق دير الزعفران شرقيّ ماردين . ولهُ عيد في ١٢ أيار (١ . وقد ورد ايضاً في كلندار الاب بترس في ٢٩ كانون الثاني ذكر لساويرا

١) راجع كلندارًا مكتوبًا في آخر كتاب نوافير منسوخ سنة ١٥٧٩ م في دير الزعفران خائمة مكتبة دير الشرفة بلبنان . وقد طُبعت ترجمة عزرائيل الشهيد في باريس سنة ١٩٠٢

الكفرزي رئيس دير قرتمين وعصره مجهول

واعلم ان كنيسة مار عزائيل في كفرزه تمتاز عن سائر كنائس طور عبدين بالبيم (المنبر) المبنيّ في صحنها وهو عبارة عن حجر كبير مستدير يسنده اربع سوار يُرقى اليه بتسع درجات من ناحية الشرق

وفي قرية حباب بطور عبدين عند دير مار ملكا القلزمي بيعة تحاكي بيعة كفرزه فيها البيم حتى يومنا . وكان من عادة السريان ابتناء مثل ذلك في كنائسهم لالقاء المواعظ وقراءة الانجيل ولاسيَّما في الحفلات البيعيَّة والطقوس كطقس الميرون والرسامات وغيرها

وقرأنا في انجيل كنيسة مار عزائيل التاريخ التالي معرَّباً

« سنة ٢١٦٦ (١٨٥٥ م) بسعاية المطران شمعون الكفرزيّ شنّ علينا الغارة امراء البهتان (قوم من الأعلام المحليَّة) يزدين بَيْر وبسود بك وضيوا بلادنا واخربوا بيعنا . وقتلوا اربعة قسَّان ورهباناً وجلةً من المسيحيين . وفي تلك السنة قاتلهم الملك توفّق وقتل بالف وخمسمائة نفر منهم والقى القبض على مَلِكَيهم وساقهما الى العاصمة مكبَّلَين بالقيود . وبعد هذا عدنا الى بلادنا بفرح وشيّدنا كنائسنا وجمعنا كتبنا وجدَّدناها »

وألفينا في ايوان المصلَّى الصيفي كتابة اسطرنجيليَّة هذا نصُّها:

ܐܬܒܢܝܬ ܒܝܬ (؟) ܨܠܘܬܐ ܗܕܐ ܒܫܢܬ ܐܠܦܐ
ܘܡܐܬܝܢ ܘܐܪܒܥܝܢ ܘܫܬ ܕܝܘܢܝܐ . ܒܝܘܡܝ ܡܪܝ ܐܚܐ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ
ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܝܠܢ . . شُيِّدت بيعة هذا المصلَّى سنة ١٢٤٦ (٩٣٥ م) في عهد اسقفنا المطران آحا

وفي منحدر كفرزه معبد مربَّع منسوب لمار ابراهيم القيشا فيه حجرًا مكتوباً بالسطرنجيليَّة قرأنا فيه كلمة ܐܒܪܗܡ ابرهيم فقط وتعذَّرت علينا قراءة الباقي

ثم سرنا الى محلّ يسمونهُ معبد مار جرجس تثويه احدى العائلات اليعقوبيَّة دخلنا اليه ضمن ثلاث دور حتى انتهينا اليه فلم نرَ شيئاً سوى ظلمة مدلهمَّة . وشاهدنا مذبحاً غيره باسم يوحنا تحيطهُ صورة حيَّتين تعلوها هيئة شمس وقمر والى جانب ذلك المعبد رواق فيه حجار مرقومة بالسطرنجيليَّة قد أثَّرت فيها الامطار تأثيرًا بليغاً . وفي بقعة كفرزه رسوم بيعة لمار ايليا لم يبقَ منها سوى جدار واحد . وفي كفرزه من اليعاقبة مائة وخمسون عائلة وكاهنان . ومن المسلمين مائة عائلة

واشهر من كفرزه ساويرا رئيس دير قرتمين ܣܘܝܪܐ ܟܘܡܪܐ ܘܡܥܒܕܢܐ ܘܡܫܝܚܝܐ وله تذكار في ٢١ كانون الثاني

وغادرنا كفرزه الى قرية دبأنه (ܘܚܦܠ) وهي في وادٍ عميق واهلها مسلمون باجمعهم وداخلها آثار دور شتى وصخور منقورة · ثم اغذذنا في السير الى دير العمر او دير قرتمين فبتنا فيهِ ليلتنا (الختام للآتي)

النصرانية بين قدماء الاتراك والمغول

بحث تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

غنيٌّ عن البيان انَّ الاتراك في عهدنا يدينون بالاسلام الّا بعض قبائلهم البادية في اطراف تركستان وفي جهات تبّت وحدود الصين التي يغلب عليها دين البوذيين

على انَّ النصرانيّة لم تحجب عنهم انوارهـا في الاجيال السالفة بل اضاءت كثيرين منهم بنبراسها ولنا على ذلك ادلّة عديدة جمعناها من اصدق الموارد الشرقيّة والغربيّة كما سترى · وقد جاءت تترى الاكتشافات الحديثة في تركستان مؤيدةً لهذا الواقع التاريخي الذي لم يَعُد يمكن انكارهُ · ولا نشكّ في انَّ قرّاءنا يسرُّون لإثباتنا هذه الحقيقة

تُركستان اي مواطن الاتراك الاصليّة وتُعرف غالباً بتوران وما وراء النهر بلاد واسعة ومفاوز شقّة تمتدّ بين بحر الخزَر المعروف ببحر قزوين غرباً وتخوم الصين شرقاً وتحدُّها شمالاً روسيّة التي تحكم اليوم على قسم منها وجنوباً ممالك الهند وايران فتنيف مساحتها على خمسة ملايين كيلومتر مربع وتضاهي وحدها نصف قارة اوربا غير انَّ سكّانهـا لا يتجاوزون اليوم خمسة الى ستّة ملايين فيكون عددهم كعدد مدينة لندن فقط · والمياه في تلك الصحاري قليلة ايضاً لا يجري فيها غير نهرين كبيرين اصلهما في مشارق جبال پامير احدهما نهر جيحون الشهير باوكس (Oxus) الذي ينصبّ في بحر قزوين والآخر نهر سيحون (Jaraxès) الذي يقطع ناحية

خوكند وخوجند ويصبّ في بحر ارال في اواسط تلك البلاد. وهناك انهار اخرى صغيرة وبحيرات يجد الاهلون في قربها مراعي لمواشيهم. والغالب عليهم رعية الغنم وتربية الخيل. وكان اكثرهم من اهل البادية يتنقّلون في تلك الصحاري ويسكنون العربات ينصبون عليها خياماً من اللبد شبه البيوت. ومنهم من تحضّر فسكنوا المدن كبلخ وسمرقند وبخارى وفرغانة وكاشغر وقراقُوُم

امّا سكّان تلك الاصقاع فيرتقي اصلهم الى قبائل كانت تسكن في اعالي جبال ألطاي التي يدعوها الترك ألطون داغ اي جبال الذهب لكثرة معادنها وهذه الجبال هي الفاصلة بين سيبريا وبلاد المغول والصين. ثمّ نزلوا الى الصحاري كالسيول الجارفة واستولوا عليها وتشعّبوا شعباً فئات وعشائر وفخوذاً وقبائل واماً لا يكاد يُحصى عددها. وكلّهم يُحسبون من النسل المغولي وان اختلط بهم بعض المنتمين الى النسل القوقازيّ ايضاً. ولغات هذه القبائل مع كثرتها تعود الى اصل واحد وهو التركيّ القديم ومنهُ الحديث. على انّ هذه اللغة لم تدوَّن بأحرف خاصّة بل كُتبت بحروف مستعارة من عدّة لغات وقد وجدوا كتابات تركيّة مكتوبة باليونانيّة واللاتينيّة والسريانيّة والرونيّة (le runnique) ثمّ كُتبت بالحروف العربيّة والحروف الارمنيّة. وقد غلب على بعض القبائل ولا سيّما الاويغور كتابة لغتهم بحرف خصوصيّ نقلوهُ عن الكلدانيّة وعُرف بالحرف الايغوريّ وهو يُكتب عموديّاً من الشمال الى اليمين (راجع الشكل)

وكما تتشابه تلك الطوائف بلغاتها كذلك تتقارب بعناصرها مع تعدُّد اسمائها. فانّ قدماء الكتبة قد اطلقوا عليها اسماء متباينة كالاسقيثيين (Scythes) والهونة (Huns) ثم شاع اسم الترك والتركمان والمغول والتتار

والمجموع عليه بين المحدثين انّ اصل هذه الامم من العنصر اليافثي فهم من حيث الجدّ البعيد اخوة الشعوب الاوربيّة. ولا يخالفهم في قولهم الكتبة الشرقيُّون بل يجعلون للترك القدميّة على المغول والتتار وسواهم. فيقولون انّ تُركاً هو اكبر اولاد يافث وانّ من نسله ولد اخوان هما تتر ومغول ثمّ خلّفا الاولاد واولد هؤلاء غيرهم حتى بلغ زعماء قبائلهم ٢٤ قبيلة سكنوا انحاء توران الى تخوم تبّت والصين واشتهروا بإقدامهم وفراستهم يرون في الحروب غاية لذّتهم وكثيراً ما زحفوا على

الاصقاع المجاورة ثم فتزوها واكتسحوا غنائمها. وربّما استولوا على البلاد فجعلوها تحت حوزتهم كما فعلوا غير مرّة بالصين وتبّت. واوّل من ذكر الاتراك كتبة الصين دعوهم اوّل باسم "هونونيس" وهم الهونة ثمّ سمّوهم "توكيو" وهو اسم الترك بالصينيّة وليس فيها حرف راء. وقد عرفهم في القرن الخامس قبل المسيح المؤرخ هيرودوتس باسمهم (Τύρκαι)

ثمّ توالت الدهور وتتابعت الاجيال حتى ضعفت الدولة الرومانيّة فشمرت القبائل المغوليّة بجنودها فتقدّمت طوائف منها وهم الهونة فكانوا لنواحي اوربّة كالطوفان العرمرمي فنهبوا وسلبوا واحرقوا ودمّروا حتى ظنّ الناس بقيامة الساعة. وكانوا يدعون ملكهم باسم الخاقان ثمّ اختصروه بالخان ثمّ دعوا الخان الاكبر قاان. ثمّ انكفأوا راجعين الى بلادهم ووضع العرب حدوداً لمرّتهم حتى أنِسوا من بني العبّاس ضعفاً فعادوا واستولوا على بلاد الاسلام واتّخذوا لهم دولاً مستقلة وكرّ اخلافهم على تلك الدول الاسلاميّة ثانيةً وهجم غيرهم على الممالك الواقعة شرقيّ اوربّة فطحنوها طحناً تحت سنابك خيلهم في عهد جنكزخان ثمّ تيمورلنك. واستأنفوا زحفاتهم في عهد بني عثمان فمدّوا سيطرتهم على اغنى البلاد بمرافقها وضروب غلّاتها

هذا نظر اجمالي قدّمناه قبل الخوض في موضوع كلامنا نريد النصرانيّة بين طوائف الاتراك

كان الدين الغالب على طوائف الاتراك في سالف الاجيال الدين المعروف بالشَّمَنيّة او السَّمَنيّة (Schamanisme)، وهو مبنيّ على اكرام قوّات الطبيعة وعناصرها الاربعة على زعمهم اي النار والهواء والماء والارض. وكانوا يعبدون الارواح ويقدّمون لها التقادم والذبائح وكذلك نفوس الاجداد يكرمونها ويتخذون التماثيل لعبادتها. وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ٢٩٨ وطبعة مصر ١ : ٥٨) هذا الدين الذي شاع ايضاً في الصين فقال عن الترك :

ودينهم دين من سلف وهي ملّة تُدعى السَّمَنيّة عبادتها نحوٌ من عبادات قريش قبل الاسلام يعبدون الاصنام ويتوجّهون نحوها بالصلوات ومنهم من يقصد بصلاته الخالق عزّ وجلّ ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة. والجاهل منهم ومن لا علم لهُ يشرك الاصنام بإلهيّة الخالق

ويتقدها جيباً وانّ عبادهم الى الاصنام تترجم الى الله زلفى وانّ منزلتهم في العبادة تنقص عن عبادة الباري بجلالهِ وعظمتهِ وسلطانهِ وانّ عبادهم لهذه الاصنام طاعة لهُ ووسيلة لهم اليهِ

ثم انتشرت بينهم النحلة البوذيّة التي قدم اصحابها من الهند فاشاعوها في الصين والبلاد المجاورة ودانت بها بعض القبائل التركيّة

وكذلك ظهرت هناك الشيعة المانويّة في القرن الرابع للميلاد فقال قوم من الاتراك بمذهب ماني المعروف بالثانويّة اي بمبدأين او الهين اله خير واله شرّ. وقد وجد السيّاح المحدثون في هذه اللذات الاخيرة آثارًا من كل هذه الاديان في تركستان فانهم اكتشفوا فيها على كتابات عديدة مكتوبة على الجلود والانسجة وقشور الشجر يبلغ عددها الالوف المؤلفة. وكذلك وقفوا على كتابات منقوشة على الحجارة وعلى القبور بلغات شتّى

فما كان للنصرانيّة وهي معروفة بغيرة ذويها وأمر منشئها الالهي لهم بان يتلمذوا كل الامم ان تسهو عن دعوة طوائف الاتراك الى دينها. وفي شواهد الآباء الاوّلين والكتبة الكنسيين الاقدمين ما يدلّ على ان رسل المسيح او تبعتهم بشّروا بالانجيل في تركستان. فمنهم القديس يوستينوس النابلسي شهيد القرن الثاني للمسيح في كتاب ردّهِ على اليهودي تريفون (مجموع الآباء لمين Migne P. G., VI. 748) قال: «ليس في المعمور جنسٌ واحد يوناني او بربري او اي اسم آخر شئتَ ان تدعوه بهِ حتى الساكنين العربات من الاسقيثيين (Ἀμαξοβίων) واهل البوادي والخيم الذين يرعون المواشي الّا وتُحنى فيهم الرُّكب لاسم يسوع المصلوب وتُرفع بهِ الادعية الى الازليّ وخالق الكلّ»

وفي هذا القول اشارة واضحة الى ساكني تركستان يؤيدها التقليد المتواصل الذي ينسب الى الرسل توما وبرثلماوس وتدّاوس والى تبعتهم من السبعين أدي وماري واجيّ دعوة تلك البلاد الى النصرانيّة وقد دعاها بعضهم بلاد ياجوج وماجوج. قال ايليا الدمشقي في تاريخهِ: «وكان الداعي والمتنصّر والمتلمذ والمدبّر بالسند والهند وما والاها من المشرق الى البحر الاخضر من الحواريين توما السليح احد الاثني عشر». وكذلك صرّح القديس صفرونيوس بانّ الرسول توما بشّر المرقانيين والبكتريين والعجم والراغيين. وقال عمرو بن متّى في كتابهِ المجدل عن

القديس برتلماوس: « نثنايل وهو برتلمي تلمذ مع توما ولبّي من الاثني عشر ومع ادّي وماري واجّي من السبعين.... النبط والاهواز وفارس ثمّ صار الى ارمنية الكبرى وتلمذ اهلها... وصار الى الهند والصين الداخلة ». وقال الياس الدمشقي عن اجّي تلميذ ادّي: « وكان الداعي والمتنصر والتلمذ والمدبّر بارض الجيل وفارس والاهواز الى تخوم السند وياجوج وماجوج اجّي تلميذ ادّي » ومثله ماري بن سليمان في اخبار بطاركة كرسيّ المشرق: « واجّي السليح بعد عود ادّي الى الرها مضى الى الجيل والاهواز وتخوم السند وما قرب آجوج وماجوج وسبقهم الى هذه الاقوال كتبة السريان كايا النصيبينيّ وغريغوريوس ابن العبريّ في تاريخه الدنيّ السريانيّ وتاريخه الكنسيّ وهم يرددون عن نصرانيّتهم ما ورد في كتبهم الطقسيّة القديمة [٢]

ومن صرّحوا بتبشير الايمان فيا وراء النهر الى الصين الكاتب اللاتيني ارنوبيوس قبل عهد قسطنطين فقال في كتابه الثاني من الدفاع عن النصرانيّة الفصل الثاني عشر [١]: « ليس في الارض امّة واحدة مها كانت متمنّعة في الهمجيّة الّا نالت من فضل الايمان المسيحي فلطّفت طباعها وراضت اخلاقها بالتقى. فكيف يمكننا ان نعدّد ما جرى على يد دعاة النصرانيّة في الهند والصين والفرس ومادي وفي العربيّة وفي مصر وآسيا الصغرى والشام وبين الغلاطيين والفرثيين وقبائل الطرنة التي جعدت اديانها لتنضوي تحت سُنن المسيح ». وكذلك عدّ اوسابيوس القيصري بين الامم المتنصّرة « الفرس والارمن والكلدان والاسقيثيين والهنود » (في كتابه الثالث عن البيان الانجيلي). وفي القرن الرابع للمسيح يشهد على تنصّر امم توكستان القديس يوحنا فم الذهب في كتابه المعنون بالردّ على اليهود (ك ١ ص ٦٦٢ من طبعة غوم Gaume) فذكر بين الامم المتنصّرة « الإسقيثيين والمغاربة والهنود » وفي تفسيره على يوحنا البشير الثاني عدّد « الهنود والعجم والحبشة » وفي عهده كتب ثاودوريطوس فذكر في ردّه على اليونان (Théodoret, *Migne*, P. G. vol., 83 col. 1037) من المتنصّرين « قبائل الاسماعيليين وقبائل البرابرة كاللاز (Lazi) والاسقيثيين والهند والحبش

١) راجع المكتبة الشرقيّة للسمعاني Assemani : *De Syris Monophysitis*, I - XX)

٢) اطلب مجموع الآباء لمين (Migne P. L. V, 827-828)

والفرس والصينيين والهرقانيين والبكترانيين (Hyrcanos et Bactrianos) »•
ومنهم قزما السائح الهندي (Cosmas Indicopleustes, Migne, vol. 88, col. 170) ذكر بين الذين تحقق نصرانيتهم في سياحته سنة ٥٤٧ للمسيح « اهل سرنديب (سيلان) وجزيرة سقطرى ».ثم قال : « انهُ يوجد عددٌ لا يحصى من الكنائس بين البكتريين والهونة (Bactros et Hunnos) والفرس والارمن والماديين والعيلاميين . وهناك اساقفة وارباب اكليروس ومؤمنون ورهبان ».
فترى انَّ كل هذه الشواهد من كتبة معاصرين في الغالب لما رووهُ تثبت دعوة المبشرين بالمسيح في البلاد التي يسكنها المغول والاتراك وليس اسم الهونة والبكتريين والهرقانيين والاسقيثيين والرافيين الّا اجيالًا من التتار عرفهم الكتبة بالبلاد التي كانوا يسكنونها وتنتشر وهي الموافقة لتركستان

ويؤيد ذلك ما رواهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول حيث قال بعد روايتهِ لتنصُّر قسطنطين (ص ١٣٥):

ولم يزل دين النصرانيَّة يظهر ويقوى الى ان دخل أكثر الامم المجاورة للروم من الجلالقة والصقالبة وبرجان والروس واللان والارمن والكرج . . . وجمهور اصناف السودان من الحبشة والنوبة وسواهم. وآمن بعد هولاء اصناف من الترك ايضًا

وفي هذا القرن الرابع جعل احد الكتبة المحققين دخول النصرانيَّة بين الطوائف التركيَّة (١ وجاء في سيرة جاثليق النساطرة مارابا (٥٤٠ — ٥٥٢ م) انَّ شان الهونة البيض وهم جيل من الاتراك (Turcs Ephtalites) وكانوا يسكنون في بكتريانة ارسل الى جاثليق الكلدان مارابا المذكور يطلب منهُ بان يُرسل لهُ اسقفاً يثير القبائل التي كانت تحت امرهِ ففعل وانشأ كرسيَّين اسقفيَّين في هراة وسمرقند (٢

وممن سعى بتوثيق عُرى العلاقات بين النصارى والاتراك احد مشاهير بطاركة الكلدان النساطرة في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع نريد بهِ طيموثاوس المعروف بالكبير (٧٧٨ — ٨٢٣) ففي احدى رسائلهِ التي تاريخها سنة ٧٩٢ يذكر « انَّ امة

---

١) راجع L. Cahun : *Introd. à l'Hist. de l'Asie, Turcs et Mongols* p. 123

٢) راجع ترجمة مارابا ص ٢٦٨ وكتاب السيو لابور Labourt : *Le Christianisme et L'Empire Perse* p. 189

الاتراك تنصّرت على يد اساقفة ارسلهم اليها ». وجاء في كتاب الرؤساء لتوما المرجي (ص ٢٥٢ — ٢٦٣ ed. Budge) انّ شوبحاليشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموتاوس الكبير الى جهات المرقانيين والاتراك فنصّر كثيرين وشيّد الكنائس وانهُ تقدّم الى جهات الخطا (Cathay) فردَّ الى الايمان جماهير من المشركين والثانويين واذ عاد راجعاً الى بابل اغتاله اعداء النصرانيّة فقتلوهُ. وما لبث ان تبعهُ في كرازته بين الاتراك أخوان هما يبالاها وكرداغ سقّفهما طيموتاوس وارسلهما مع ١٥ راهباً من دير بيت آبا سقّف ايضاً منهم سبعة فذهبوا للكرازة في بلاد الخطا والصين كما روى توما المرغي (ص ٢٦٤ — ٢٧٠) ثم ذكر بعدهم اليّا اسقف موقان الذي بشّر في تلك البلاد عينها وشيّد الكنائس (المرغي ٢٧٨ — ٢٨٢).

وفي تاريخ بطاركة الشرق لماري بن سليمان « انّ طيموتاوس دعا خاقان ملك الترك الى الامانة وغيرهُ من الملوك ووردت عليهِ كتبهم وتلمذ خلقاً ». ومذ ذاك الحين ترى للنساطرة عدّة كراسيّ مطارنة في بلاد الترك وما جاورها عدّدها عمرو بن متّى في تاريخهِ المعروف بالمجدل (ص ١٢٦) « كمطران مرو ومطران الصين ومطران الهند ومطران بوذع (كذا. يريد برذعة في اقصى اذربيجان) ومطران طبرستان ومطران الديلم ومطران سمرقند ومطران تركستان ومطران سجستان ومطران خان بالق والقالق ومطران تنكت ومطران كاشغر ونواكث » (قال) « وكل واحد من هؤلاء المطارنة لهُ اساقفة فنهم من لهُ اثنا عشر اسقفاً ومنهم من لهُ ستة »

فكفى بتعداد هذه الكراسي دليلاً على نفوذ النصرانيّة في بلاد الترك باطنها وخارجها في اوائل القرون الوسطى ولولا توفّر المتنصّرين في تلك الانحاء لما اقاموا هذا العدد الوافر من الكراسيّ المطرانيّة والاسقفيّة التي يدلّ بعضها على اقصى بلاد الاتراك وامّهاتها كتنكت وكاشغر فضلاً عن اسم تركستان العامّ

وفي اوائل القرن التاسع للميلاد ابتدأت حركة الاتراك في الدولة العباسيّة فتزلّف قوم منهم الى الخلفاء وتجنّدوا لخدمتهم ثمّ لم يزل امرهم يتفاقم في عهد المتوكّل والمتنصّر والمستعين حتّى استولوا على الدولة وصار الحلّ والعقد في يدهم ولم يدعوا للخلفاء سوى السلطة الدينيّة ومنهم خرج بعض المماليك الذين انشأوا دولاً مستقلّة

كبني طولون في مصر وبني سلجوق على انّ هؤلاء الاتراك اسلموا رغبةً في تنفيذ امورهم وضبط اعنّة التدبير في يدهم

واماّ الاتراك الذين لم يبرحوا عن بلادهم فانّ الدين النصرانيّ زاد انتشاره بينهم. وكان دعاة النصرانيّة يتواردون الى مواطنهم بل ربّما قطعوها حتى بلغوا حدود الصين. ولنا على ذلك شاهد جليل في كتابة "سي نغا نفو" الشهيرة المكتوبة بالصينيّة والسريانيّة سنة ٧٨١ للمسيح وفيها تاريخ ورود النساطرة الى تلك البلاد منذ سنة ٦٣٥ ونشرهم الدين النصرانيّ في انحائها على عهد دولة تانغ التي استولت على بلاد تركستان وجهات المغول (راجع المشرق ٣ : ٨٤٥ — ٨٥٣) فكان اكرام الصينيين للمرسلين المسيحيين منشّطاً للترك كي ينتظموا ايضاً في سلك المتنصّرين

ومن القبائل التركيّة التي تنصّرت في تلك المدّة قبيلة الايغور او الاويغور (Ouigours) او (Oïgours) فهذه كانت من القبائل البادية تسكن قريباً من جبال قراقوم جنوبيّ سمرقند ومنها كان بوكوخان الذي خرج على الصين وانشأ فيها دولةً تُعرف بالاويغوريّة التي ملكت مئة سنة (٧٤٥—٨٤٧م) ثم غلبها الصينيّون وبقيت لها الامارة في جبال قراقوم وتنصّر اهلها على يد الدُعاة النساطرة وعنهم اخذوا كتابتهم الاويغوريّة المشتقّة من الكلدانيّة وعدلوا عن رعية المواشي الى فلاحة الارض فخصبت بلادهم واشتهروا بين الاتراك بعمرانهم وتمدّنهم

ومن قبائل الترك التي اقتدت بآثار الاويغور قبيلة الجتاي وتدعى بالخطاي لاجل سكناها في الخطا من اقاليم الصين الشماليّة وهذه ايضاً اخذت القلم الاويغوري الذي دُعي بالجتاي. قال ابن عربشاه في عجائب المقدور في اخبار تيمور (ج ٢ : ٦١٤ — ٦١٥ Ed. Manger) :

«امّا الجتاي فلهم قلم يسمّى اويغور، وهو بالقلم المغولي مشهور، وبهذا الخطّ يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم، ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم، وتواريخهم واشعارهم، وقصصهم واخبارهم وسجلاّتهم واسفارهم (ويروى واسارهم) وجميع ما يتعلّق بالامور الديوانيّة، والتور جنكيزخانيّة، لا يبرح يتقنها لأنّه مفتاح الرزق عندهم»

وفي اوائل القرن الحادي عشر للميلاد تنصّرت قبيلة اخرى تدعى قبيلة الكريت (Kéraïtes) وذلك في عهد جاثليق النساطرة يوانيس (١٠٠١ — ١٠١٢ م)

كبني طولون في مصر وبني سلجوق على انّ هؤلاء الاتراك اسلموا رغبةً في تنفيذ امورهم وضبط اعنّة التدبير في يدهم

ولمّا الاتراك الذين لم يبرحوا عن بلادهم فانّ الدين النصرانيّ زاد انتشارهُ بينهم. وكان دعاة النصرانيّة يتواردون الى مواطنهم بل ربّما قطعوها حتى بلغوا حدود الصين. ولنا على ذلك شاهد جليل في كتابة «سي نغا نفو» الشهيرة المكتوبة بالصينيّة والسريانيّة سنة ٧٨١ للمسيح وفيها تاريخ ورود النساطرة الى تلك البلاد منذ سنة ٦٣٥ ونشرهم الدين النصرانيّ في انحائها على عهد دولة تانغ التي استولت على بلاد تركستان وجهات المغول (راجع المشرق ٣ : ٨٤٥ — ٨٥٣) فكان اكرام الصينيين للمرسلين المسيحيين منشّطاً للترك كي ينتظموا ايضاً في سلك المتنصرين

ومن القبائل التركيّة التي تنصّرت في تلك المدّة قبيلة الايغور او الاويغور (Ouigours) او (Oïgours) فهذه كانت من القبائل البادية تسكن قريباً من جبال قراقرم جنوبيّ سمرقند ومنها كان بوكوخان الذي خرج على الصين وانشأ فيها دولةً تُعرف بالأويغوريّة التي ملكت مئة سنة (٧٤٥—٨٤٧م) ثم غلبها الصينيّون وبقيت لها الامارة في جبال قراقرم وتنصّر اهلها على يد الدُعاة النساطرة وعنهم اخذوا كتابتهم الاويغوريّة المشتقة من الكلدانيّة وعدلوا عن رعية المواشي الى فلاحة الارض فخصبت بلادهم واشتهروا بين الاتراك بعمرانهم وتمدّنهم

ومن قبائل الترك التي اقتدت بآثار الاويغور قبيلة الجغتاي وتدعى بالخطاي لاجل سكناها في الخطا من اقاليم الصين الشماليّة وهذه ايضاً اخذت القلم الاويغوري الذي دُعي بالجغتاي. قال ابن عربشاه في عجائب المقدور في اخبار تيمور (ج ٢ : ٦١٤ — ٦١٥ Ed. Manger) :

امّا الجغتاي فلهم قلم يسمّى اويغور وهو بالقلم المغولي مشهور وبهذا الخطّ يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم وتواريخهم واشعارهم وقصصهم واخبارهم وسجلّاتهم واسفارهم (ويروى واسمارهم) وجميع ما يتعلّق بالامور الديوانيّة والتور جنكيزخانيّة لا يبرونهم لأنّهُ مفتاح الرزق عندهم *

وفي اوائل القرن الحادي عشر للميلاد تنصّرت قبيلة اخرى تدعى قبيلة الكريت (Kéraïtes) وذلك في عهد جاثليق النساطرة يوانيس (١٠٠١ — ١٠١٢ م)

وكان سبب تنصّرهم ما رواهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسي (٢ : ٢٨٠ ed. Lamy) عن عبد يشوع مطران مرو الذي جرى الامر في زمانهِ. قال: « خرج ملك الكريت الى الصيد في تلك الجبال فضلّ الطريق واصبح على وشك الهلاك اذ تراءى لهُ الشهيد القديس سرجيوس وانقذهُ من الخطر وامرهُ بالتنصّر فلمّا عاد الى مدينتهِ دعا اليهِ تجّاراً نصارى كانوا يرتزقون بين اهل رعيّتهِ واستخبرهم عن الدين النصرانيّ فأشاروا اليهِ ان يستقدم مطران مرو ليشرح لهُ عقائد الايمان ففعل ثمّ اعتمد هو وشعبهُ في عدد مائتي ألف (١ وارسل الجاثليق كاهناً وشمّاساً ليساعدا عبد يشوع في خدمة المتنصّرين وسمح لهم في مدّة الصوم الكبير بشرب حليب الخيل لقلّة المآكل هناك »

وبقيت النصرانيّة في هذه القبيلة زمناً طويلاً وكان ملوكها نصارى ايضاً يسمّى كلّ منهم بأونك خان ومعناهُ الملك يوحنّا وقيل انّ الاساقفة النساطرة كانوا يمسحونهم ملوكاً وكهنةً معاً ولذلك عرفهم الاوربيّون باسم الكاهن يوحنّا (le prêtre Jean) وكان اوّلهم اونك خان الاوّل الذي تنصّر مع قومهِ. وخلفهُ اونك خان الثاني الذي غزا كاشغار سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦م) وقام بعده اونك الثالث الذي زاد في ملك اجدادهِ وبلغ حدود مملكتهِ الى نهر دجلة نحو السنة ١١١٩م. والرابع بهذا الاسم هو الذي غلبهُ على ملكهِ سنة ١٢٠٣ احد عمّالهِ المسمّى تموجين وهو المشهور باسم جنكز خان قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٩٤) :

وفيها وهي سنة الف وخمسمائة واربع عشرة لليونان (١٢٠٣م) كان ابتداء دولة المغول وذلك انّ في هذا الزمان كان المستولي على قبائل الترك المشارقة اونك خان وهو المسمّى ملك يوحنّا من القبيلة التي يقال لها كريت وهي طائفة تدين بدين النصرانيّة وكان رجل مؤيّد من غير هذه القبيلة يقال لهُ تموجين ملازماً لخدمة اونك خان من سنّ الطفوليّة الى ان بلغ حدّ الرجوليّة وكان ذا بأس في قهر الاعداء. فحسدهُ الاقران وسعوا بهِ الى اونك خان وما زالوا يتابونهُ عندهُ حتى اتّهمهُ بتغيّر النيّة وهمّ باعتقالهِ والقبض عليهِ. فانضمّ اليهِ غلامان من خدم اونك خان . . . فكرّ عليهِ تموجين واصحابهُ . . . حتى قتلوهُ وابطالهُ وسبوا ذراريّهُ . . .

والى اونك خان هذا ارسل البابا اسكندر الثالث سنة ١١٧٧ كتاباً رواهُ

١) راجع تاريخ ماري بن سليمان والمكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤ : ٢٨٠ – ٢٨٢ وكتاب دي كيني في تاريخ الهونة Deguignes : *Hist. gen. des Huns, des Turcs, des Mongols* III, 23)

المؤرخ بارونيوس في تاريخ هذه السنة. وكان اونك استقبل في بلاطهِ حكيماً اوربياً يدعى فيلبُّوس وصف لهُ مقام الاحبار الاعظمين ورغَّب اليهِ الانضمام الى الكنيسة الرومانيَّة فكتب اونك الى البابا يطلب منهُ ان يرسل اليهِ مرسلين يهذّبون بامور شعبهِ ويشيّدون في حاضرة ملكه كنيسة. فلبّى امام الاحبار دعوتهُ وحضَّهُ على ملازمة الايمان الكاثوليكي

وكان لاونك خان المذكور انسباء يملكون في جهات الصين. ذكر المرسل الفرنسيسيّ حنا من جبل كورڤينو (Jean de Monte Corvino) انَّهُ وصل الى الصين واحتلّ خان بالق وهي مدينة (باكين) وكان ملكها من اقارب اونك خان يُدعى جرجس وكان نسطورياً فدعاهُ الى الكثلكة فاقتنع بها وارتدّ الى طاعتها مع ابنهِ وثبت عليها الى وفاتهِ سنة ١٢٩٨ فقام اخوتهُ بعد موتهِ واضطهدوا الكاثوليك (١

ولم تنقطع ذريَّة اونك خان النصرانيَّة بعد قتلهِ بل بقيت قبيلة الكريت على دينها يأمرها امراء من نسل اونك المذكور اوّلهم داود ابنهُ ثمَّ خلفاؤهُ من بعدهِ الى اوائل القرن الرابع عشر كما روى السائح الايطاليّ الشهير مركو پولو (Marco Paolo) الذي اكَّد انَّ الكريت تُرك نصارى وملكهم على دينهم (٢

واخبر سنفير ملك الارمن الى التتر سنة ١٢٤٨ أنه اجتمع بملكهم النصرانيّ المدعو كوجوك (Gujuch)

وكان لاونك خان ابنة اخٍ نصرانيَّة مثلهُ تُدعى سرقوطانا تزوّجها جنكزخان وبقيت على دينها تغير عليهِ وتنشّط اهلهُ وكان في خدمتها كثيرٌ من ارباب الدين الّا انهم نساطرة ويعاقبة وارمن. وهذه سرقوطانا هي امّ منكوخان سلطان التتر

ثم عظم امر جنكزخان وفتح الفتوحات العظيمة وكان مائلًا الى النصرانيَّة يكرم اربابها ويستخدم اصحابها ويتقرّب من اهلها. ولمّا فتح بلاد الاويغور النصارى طلب منهُ صاحب الدولة المدعو ايدي قوب (وقيل ايدي قوت) الامان لنفسهِ ورعيَّتهِ والدخول في زمرتهِ فاقبل عليهِ جنكزخان واحسن قبولهُ واعادهُ الى بلادهِ

---

١) راجع المكتبة الشرقيَّة للسماني Assemani: *Bibl. Or.*, IV, 500-504

٢) ورد ذلك في تاريخ الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة لوادنغ (.Wadding) المجلَّد الثالث

وكان يقام الاتابكيّة لكيوك خان امير كبير اسمهُ قداق وكان معمَّداً مؤمناً بالمسيح وشاركهُ في ذلك امير آخر اسمهُ جينقاي فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسَّنا بعين كيوك خان ووالدته واطنبا بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحيَّة

وارتفع شأن الطوائف المنتمية الى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والارمن. والترم الخاص والعام من المغول وغيرهم ممَّن لم يجهم ان يقولوا في السلام برخمر (بُرخمر) هو لفظ سرياني مركَّب معناهُ (بارِكْ مالكي)

وفي أيامهِ ارسل الحبر الاعظم اينوشنسيوس الرابع سفيراً من الرهبان الفرنسيين اسمهُ بلان كربين (Plan Carpin) ليدعوهُ الى الايمان وكان شاع في اوربا انهُ يريد التنصُّر فواجههُ السفير لكنَّهُ لم ينل منهُ غير المواعيد الباطلة . ثمَّ عاد الحبر الاعظم وارسل غيرهم من الرهبان الدومنيكيين كأسلين (Fr. Ascelin) وسمعان (Simon de S. Quentin) والسكندر وألبريك فلم يلقوا من وفودهم على زعماء التتر غايةً لانَّ المغول كانوا يزعمون انهُ يجب على ملوك الغرب مع الحبر الاعظم ان يخضعوا لسلطانهم . وكرَّر رئيس الكنيسة مساعيهُ في ارتداد ملوك المغول فارسل الاخ اندراوس الفرنسي (Fr. André de Louciumel) الى كيوك فاحتفى بهِ القآن اي الخاقان واوفد احد قوَّادهِ الى رومية يعلن باسم كيوك اكرامهُ لرئيس الكنيسة

وقام في رئاسة التتر بعد كيوك منكوخان (١٢٤٨ — ١٢٥٧) وهو ابن تولي وقد سبق انَّ امهُ كانت نصرانيةً وجرى هو ايضاً في مجاملة النصارى على مثال كيوك وكان في قرب منزلهِ كنيسة للنساطرة ويحيط بشخصهِ رهبان منهم ومن الارمن والسريان .

وكان من قوَّاد منكو باتو خان ابن عمهِ تولي يأمر على قسم كبير من جيشهِ ولباتو هذا ابنٌ اسمهُ سرتاش او سَتَّاش هو ايضاً من كبار الدولة ورؤساء الجيش فهذا تنصَّر وارسل الى البابا اينوشنسيوس الرابع بصفة سفير كاهنهُ الخاص يوحنَّا يُشعرهُ بالامر . فكتب اليهِ الحبر الاعظم كتاباً يهنئهُ بارتدادهِ ويحثُّهُ على الثبات في دينه وعلى العمل بمقتضى سُننهِ وذلك سنة ١٢٥٤ وهذا الكتاب رواهُ بارونيوس في تاريخ هذه السنة والحقهُ بكتاب ثانٍ وجَّههُ البابا الى خان آخر من الاتراك مع احد الرهبان الدومنيكيين يعرض عليهِ الايمان بالمسيح

وكان الصليبيّون يجاهدون في ذلك الوقت في فتح الاراضي المقدّسة فلمّا سمعوا بفتوحات المغول ارسلوا اليهم وفوداً ليبرموا معهم المعاهدات ويحالفوهم. ولنا من ذلك رحلة احدهم وهو غليوم دي روبرك (Guillaume de Rubrock) وهو راهب افرنسيسي ارسلهُ القديس لويس التاسع الى المغول اذ كان في بلاد الشام وذلك في تاريخ سنة ١٢٥٣ فوفد هذا على سرتاش ووالدهِ باتو ورحل الى قراقرُم حيث وجد قبيلة تركيّة نصرانيّة دعاها هيان ودخل الى منكو خان وقد وصف بالتدقيق كل ما رآهُ في رحلتهِ مع بيان احوال المغول في دينهم ودنياهم وذكر ما وجدهُ بينهم من آثار النصرانيّة وتأسّف على كون هذا الدين بين الترك والمغول مشوباً بأضاليل النساطرة واليعاقبة وغيرهم. ووجد عند منكوخان صنعة من الفرنج كانوا يعملون لهُ الاثاث والاواني اللطيفة وصف منها اناء كالحوض يعلوهُ ملاك اذا نفخ في بوقهِ مجّت عدّة حيّات بأشربة مختلفة (انظر الصورة)

وقد سعى ملوك الفرنج مراراً بمحالفة ملوك المغول كما روى ذلك المستشرق الشهير راموزا (Abel Rémusat) في مقالة نشرها في مجموع الكتابات والفنون (١

وتولى امر المغول بعد منكو خان اخواهُ قوبلاي (١٢٥٧–١٢٩٤) وهولاكو (١٢٥٧–١٢٦٥) فملك الاوّل على الصين والشرق الاقصى امّا هولاكو فبسط حكمهُ على جهات الغرب وهو الذي فتح بغداد وقتل آخر خلفائها العبّاسيين المستعصم بالله ثم فتح حلب وبلاد الشام وبالغ في القتل والسلب والدمار. وقد اظهر كلا الملكين حفاوة بالنصارى فانّ المرسلين الفرنسيسيين دخلوا في بلاد الصين على عهد قوبلاي وشيّدوا في خان بالق وهي باكين كنيسة ونصّروا كثيرين وبقيت رسالتهم هناك مزهرة ناجحة نحو مئة سنة وكان احد المرسلين اسقفاً

وكذلك زادت النصرانيّة نفوذاً بمساعي النساطرة كما تشهد عليهِ ترجمة البطريرك يابالاها والراهب ربّان صوما (٢ فهذان ولدا في الصين وكان اسم يابالاها مرقس

(١ اطلب MÉMOIRES DE L'ACAD. DES INSCRIPT. ET BELLES-LETTRES. Relations politiques entre les princes Chrétiens et les Mongols. T VI et VII

(٢ هذه الترجمة من ابدع الآثار القديمة نشرها حضرة الاب بولس بيجان اللازري وترجمها الى الافرنسيّة الاب شابو J.-B. Chabot : *Histoire du Patriarche Mar Jabalaha et du moine Rabban Çauma*.

ولد في كوشنك سنة ١٢٤٥ وولد صوما في خان باليق اي باكين فترهَّبا مدَّة ثمَّ اتَّفقا في عهد الملك قوبلاي على السفر الى بلاد الغرب لزيارة اورشليم فبعد الاتعاب والمشقَّات الطويلة بلغا الى بلاد الجزيرة ثمَّ توفي بطريرك النساطرة دنحا فوقع الاختيار على مرقس الصيني ليخلفهُ فتسمَّى بيابالاها. امَّا صوما فواصل سفرهُ ودخل على خان التتر ارغون الوارد ذكرهُ الذي ارسلهُ كسفير الى البابا والى ملوك اوربَّة لمحالفتهم فرحل صوما الى رومية ودخل على البابا غريغوريوس العاشر وحاشية بلاطهِ وشهد امامهم بانتشار النصرانيَّة بين الصينيين والمغول والاتراك وممَّا قالهُ ما تعريبهُ موجّهاً كلامهُ الى البابا والكرادلة

[اعلموا ايها السادة انَّ كثيرين من آبائنا دخلوا في اقطار المغول والترك والصينيين وعلَّموهم الايمان. واليوم كثيرون من المغول يدينون بالنصرانيَّة ومنهم خواتين (ملكات) واولاد ملوك قد اصطبغوا بالمعموديَّة. وفي منازلهم العسكريَّة معابد وكنائس. ويكرمون النصارى اكراماً جزيلاً. وقد ارسلني البطريرك يابالاها وارغون خان اليكم ليبتَّ عهداً معكم ويستولي على مدينة اورشليم...

ثمَّ رحل صوما الى فرنسة ودخل على فيليبس الرابع (Philippe le Bel) ثمَّ ذهب الى انكلترة وواجه ملكها ادورد الاوَّل ثمَّ عاد الى رومية سنة ١٢٨٨ فاستقبلهُ البابا نيقولا الرابع خلف غريغوريوس واعادهُ مكرَّماً الى ارغون

وكما كان قوبلاي يعزّ النصارى في مملكة الصين كان اخوه هولاكو يبالغ في اكرامهم في جهات الغرب. وكانت امّ قوبلاي وهولاكو تُدعى دوقوز وقد اشتهرت بفضلها وتقاها وحسن تدبيرها فاطرأ عليها كل المؤرخين. قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ٤٦١): «ومن الخواتين الكبار دوقوز خاتون المؤمنة المسيحيَّة»

وممَّا تشهد عليهِ التواريخ انَّ هولاكو لم يكن فقط مراعياً للنصارى بل كان نصرانيّاً ايضاً لنا على ذلك دليلان الاوَّل كتاب البابا اسكندر الرابع اليهِ سنة ١٢٦٠ نشرهُ بارونيوس في تاريخ هذه السنة وفيهِ يهنّئ الحبر الاعظم هولاكو على ما بشّره بهِ من رغبتهِ في التنصُّر بواسطة احد سفرائهِ الذي قدم الى رومية ليبدي الخضوع لنائب المسيح باسم سيدهِ. والثاني ما رواهُ هيثون المؤرخ الارمني الشهير في الفصل ٣٢ من تاريخهِ الشرقي حيث صرَّح بعموديَّة هولاكو ونصرانيَّتهِ

وخلف هولاغو ابنهُ أباقا ايلخان (١٢٦٥ — ١٢٨٢) فصرف أيام ملكهِ في الحروب كاسلافهِ وقد دان بالنصرانيّة كأبيهِ هولاكو. وكانت زوجتهُ مريم ابنة ملك الروم. وفي سنة ١٢٦٧ ارسل اباقا كتاباً الى اقليميس الرابع يُعلن بخضوعهِ للكرسي الرسولي ويطلب محالفة الفرنج ضدّ ملوك مصر . فاجابهُ البابا برسالة لطيفة دوّنها بارونيوس في تاريخهِ. ولمّا كانت السنة ١٢٧٤ عقد الحبر الاعظم في ليون مجمعاً عمومياً حضرهُ رُسل ملك الروم وبطاركة الشرق. وكان بين الحضور وفدٌ من ملك المغول اباقا في عدد ١٦ رجلاً قدموا ليتّفقوا مع آباء المجمع على محاربة المصريين. وقد اخبر ابن العبري في تاريخهِ مختصر الدول (ص ٥٠٥) انّ اباقا ايلخان توجَّه سنة ٦٨١ (١٢٨٢م) الى بغداد ومنها الى همذان (قال) : «وفي يوم عيد النصارى الكبير لتلك السنة دخل الى البيعة في تلك المدينة وعيَّد مع النصارى » . وكانت وفاته في تلك السنة

وممّن اشتهروا في أيامهِ اميرٌ مغولي يُدعى يشموت كان عريقاً في الدين النصرانيّ واصلهُ من قبيلة الاويغور النصرانيّة فولّاهُ اباقا على الموصل فأحسن التدبير كما روى عنهُ صاحب ترجمة يابالاها (ed. Chabot. 47). ومن ملوك المغول الذين تقرّبوا من النصارى واكرموا دينهم الملك ارغون (١٢٨٤—١٢٩١ م) فهذا لم يتولَّ الملك بعد ابيهِ بل ملك اخوهُ تاقودار الذي أسلم وتسمَّى بالسلطان احمد فاخذ يضطهد النصارى فاستصفى اموال البعض وقتل البعض واخرب الكنائس واراد ان يقتل البطريرك يابالاها بل عزم على اغتيال اخيهِ ارغون لميلهِ الى النصارى فهرب منهُ ارغون وتمكَّن من تجنيد العساكر واستولى على الامر بعد انتصارهِ على اخيهِ وضاعف حبَّهُ نحو المسيحيين وشيَّد لهم الكنائس واعدَّ لهم كنيسة نقّالة اهداهُ أيّاها الحبر الاعظم نقولا الرابع فجعلها بجوار خيمتهِ الملكيَّة ودشَّنها لهُ البطريرك يابالاها وعدد لا يُحصى من الاساقفة والرهبان والكهنة . وكان الملك اذا نقل مضربَهُ من مكان الى آخر نقل الكنيسة ايضاً. ولمّا ولد لارغون ابن عمَّدهُ احد سفراء البابا وهو خربندا المسمّى بالعماد تاودوسيوس كما روى المؤرّخ الارمنيّ اسطفان اوربليان (١

ومن الآثار المثبتة لحبّ ارغون للنصارى رسالة كتبها للبابا اونوريوس الرابع سنة ١٢٨٥ فنشرها المؤرخ بارونيوس وفيها من عبارات الولاء والحب والتعظيم للحبر

(١) سيرة يابالاها (ed. Chabot.) 94. 258

الاعظم ما يحملها من اجلّ الآثار . ثمّ كتب ارغون رسالات اخرى للحبر الاعظم منها الرسالة التي نقلها ربّان صوما . وفيها يمدّد مآثر جمّة للنصارى ويذكر أمّهُ النصرانيّة توكتان (ويروى توكدان خاتون)

وقد اجاب الحبر الاعظم نقولا الرابع على هذه الرسائل ولا تزال براءاتهُ في سجلّات الكرسي الرسولي نشرها الاب شابو بينها اربع مكاتيب لارغون خان ومكتوب للبطريرك يابالاها ومكتوب لوالدة ارغون وابنتهِ اغاج مع مكاتيب أخرى لابناء ارغون ولبعض عمّالهِ النصارى وذلك من السنة ١٢٨٨ الى ١٢٩١

وسار ولدا ارغون وهما قازان واولجيتو على مثال والدهما في حب النصارى . ولا سيا اولجيتو وهو الذي قلنا انّهُ تعمّد وكان اسمهُ خربندا ولمّا صار ملكاً دُعي اولجيتو وكانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ في اوّل كهوليّتهِ وعمرهُ ٣٦ سنة

ومذ ذاك الحين انقطعت العلاقات بين ملوك الغرب وملوك المغول وضعفت قوّة المغول في الشرق فتقسّمت دولتهم الى عدّة امارات غلب عليها دين الاسلام كما انّ دولة المُنغ الوطنيّة في الصين غلبت المغول في اواسط القرن الرابع عشر وانقطعت النصرانيّة في الصين الى ان اعادها الاب ركشي اليسوعي (المشرق ١٣ : ٧٠١و٩١٣)

ومن الدول التركيّة التي دانت مدّةً بالنصرانيّة في ايام المغول الدولة السلجوقيّة . كان اصحابُها يدينون اوّلا بالسنّيّة فلمّا سكنوا ما وراء النهر دانوا بالنصرانيّة التي دعاها اليهم النساطرة وكان السلجوقيّون من اقارب الكريت والنيمان النصارى وفي اسماء بعض ملوكهم الأوّلين دليل على نصرانيّتهم كميكائيل وداود ويونس (١

على انّ الآثار النصرانيّة الباقية منهم قليلة جدًّا . وهؤلاء السلجوقيّون انشأوا لهم بعد ذلك دولًا شتّى فملك بعضهم في العراق وبعضهم في الشام وبعضهم في خوارزم وكرمان وملك غيرهم في الروم وكانت حاضرتهم قونية منهم عزّ الدين كيكاوس فهذا ملك مرّتين من ١٢١٠ الى ١٢١٩ ثم من ١٢٤٥ الى١٢٥٧ وكان يحبّ النصارى ويدرس كتبهم المقدّسة ويجلّ ايمانهم فارسل وفدًا الى البابا غريغوريوس التاسع يطلب منهُ قاصدًا رسوليًّا يشرح لهُ العقائد المسيحيّة فاجاب البابا اسكندر الرابع خلف

---

١) اطلب كاهون Cahun : *Introd. à l'Hist. de l'Asie*, p. 41, 179

غريغوريوس الى ملتمس سلطان قونية وكتب لهُ رسالةً جميلة يثني فيها على همّتهِ ويلخّص لهُ المعتقدات النصرانيّة وهذه الرسالة رواها بارونيوس المؤرخ في اخبار سنة ١٢٥٣. ومن الامم التي كانت تحت حكم السلجوقيين في بلاد الروم الجركس وكانوا يدينون بالنصرانيّة. قال ابو الفداء في تاريخهِ (ج١ص ٩٧ من طبعة الاستانة) في ذكرهِ للامم المتنصّرة: «ومنها الجركس وهم على بحر نيطش من شرقيهِ وهم في شظف من العيش والغالب عليهم دين النصارى»

وممّا افادنا علماً عن النصرانيّة في تركستان ما اكتشفهُ السيّاح الاوربيّون في هذه الحقب الاخيرة. فمن ذلك آثار مدن وابنية شيّدها نصارى الاتراك في تركستان الروسية وبلاد المغول منها مدينة تشتركول موقعها جنوبي بحيرة بلكش بين يسيك وطقماق. وكانت تلك الناحية كلّها عامرة واهلها من نصارى الاتراك من الشيعة النسطورية يرتزقون بالفلاحة فشيّدوا تلك المدينة وحصّنوها بقلعة حريزة لا تزال اسوارها ماثلة مرتفعة يرتقي عهدها على الارجح الى القرن التاسع او العاشر. ومن عجيب هندستها أنها كانت مبنيّة على شكل صليب واسمها يدلّ على ذلك (١. وقد وجدوا هناك مقبرتين كبيرتين وعدّة كتابات سريانيّة ويونانيّة مع صلبان فوقها. وقد بلغ مجموع الكتابات السريانيّة وحدها نحو خمسة آلاف يتراوح زمانها بين القرن الثالث عشر الى الخامس عشر من السنة ١٢٤٩ الى ١٤٠٦ واكثرها لا تاريخ لها الّا ٦٠٠ منها وعلى كلّ حجر اسم الميت مع بعض افادات عن شخصهِ ورتبتهِ حول الصليب المرسوم على الحجر. وبين هذه الاسماء عدّة اعلام نصرانيّة وبينها اعلام تركيّة مع رواية تاريخ الاتراك ما يدلّ على انّ هؤلاء المتنصّرين كانوا من قبائل للترك وليسوا اجانب والكتابات بالقلم الاسطرنجلي ننشر منها امثلةً نقلناها عن مجلّة الشرق المسيحي (اطلب الصورة) (٢

ثمّ وجدوا في جهات طرفان خزائن اوراق ودفاتر وكتب شتّى مكتوبة على جلد او على قشور لشجار في عدّة لغات منها صينيّة ومنها سريانيّة بينها آثار نصرانيّة

(١ راجع كتاب البعثات العلميّة الجديدة: Nouvelles archives scient. et littéraires 1909, Mission dans l'Asie centrale et la Sibérie par *M. J. Chaffanjon*, pp. 55-101.

(٢ اخذنا هذه المعلومات عن مجلّة اصداء الشرق (Echos d'Orient, 1911, pp. 278-286)

كصلوات وطقوس وقطع من الكتب المقدّسة فأيّدت هذه الاكتشافات ما قلناه من انتشار النصرانيّة في تلك البلاد

وهنا لا بُدّ من ذكر اثر آخر لطيف يدلّ على انتشار النصرانية بين احدى قبائل الترك في اوائل القرن الرابع عشر نريد بها قبيلة الكومان التي كانت في جهات بحر الخزر والبحر الاسود ثمّ تقدّمت في القرن الحادي عشر الى جهات المجر والفلاخ فدخل بينهم المرسلون اللاتين من الفرنسيسكان والدومنيكان وبشّروهم بالانجيل وعمّدوا منهم مرّةً واحدة خمسة عشر الفاً وكان لهم اسقف يُدعى ثاودوريك (١

امّا الاثر المذكور فهو كتاب قطعهُ الربع يتركّب من ١٦٤ صفحة تاريخهُ سنة ١٣٠٣ يخصّ مكتبة كنيسة مار مرقس في البندقيّة(١ وهذا الكتاب مكتوب بالقلم الفرنجيّ وهو لفائدة المرسلين اللاتين بين قبائل الكومان التركيّة يبتدئ بهذه الالفاظ « لمجد الله واكرام الطوباوي يوحنّا الانجيليّ وهو يحتوي على معجم في ثلاث لغات في لغة الكومان وهي التركيّة القديمة وفي الفارسيّة واللاتينيّة ثمّ يلي المعجم تعابير شتى باللغة الكومانيّة واللغة الالمانيّة وفي القسم الثاني من الكتاب جمل الصلوات النصرانيّة وادعيتها وتسابيحها وطقوسها البيعيّة كما هي جارية في الكنيسة اللاتينيّة وكلّ ذلك في اللغة الكومانيّة اي التركيّة القديمة ما يدلّ صريحاً على انّ الكتاب كان لخدمة نصارى تلك الجهات. وهذا الكتاب قد طُبع طبعةً متقنة في عصرنا سنة ١٨٨٠ في بوادبست بهمّة الكنت جيزا كوون (Géza Kuun) وهو يُعرف بالمصحف الكوماني (Codex Cumanicus) وها نحن نورد هنا منهُ الصلاة الربيّة بحرفها الاصلي اللاتينيّ ثمّ نتبعها بالصلاة عينها بالحرف العربي ونقابلها مع الصلاة التي تُتلى اليوم بين النصارى بالتركيّة :

Atamis kim kœkté sén. Sentléssen adin. Algizle bulsun sening hanlechin. Bulsun sening tilémégin nezikkim kœkté alley ierda. Kundégi œtmackimis-ni bisga bougun bergil. Dage iazuclarmisme bisgœ bozzatkil. Netsik bis-bozzatirbis bisgœ iaman etchenlergœ. Dage iékoik sinamakina bisni kuur-magil, bassa bartse iamandan bisni kuthargil. Amen.

١) راجع مجلّة الشرق المسيحي ROC ; 1913, pp. 1-36

الصلاة الربيَّة في التركيَّة الحالية

گوگلرده‌کی بابامز آدڭ تقدیس اولنسون . ملکوتڭ گلسین . اراده‌ڭ نته کیم گوگده . بویله‌ده زمین اوزرنده اولسون . اتمکمزی بوگونکی کنافز ایچون ویریزه . ویزم گناهلرمزی بزه عفو ایت نته کیم بزدخی بزم حقمزده اسائت ایدنلره باغشلادق . واغوایه بزی کیردرمه انجق کوتولکدن بزی قورتار آمین

الصلاة الربيَّة في التركيَّة القديمة

اتامز کیم گوگده سن ستلمش ادڭ التزل برلسون سنڭ منلشن . برلسون سنڭ تالمگڭ ترك کیم گوگده هل برده . گنده‌گی اتمکمزل بزگه بوگون برگل . دخی یازقلرمزی بزگه بوزتکل تتك بزڭ بوزتربز بز یمان اچلرغه دخی بکتیك بنا . مکینا بجل سنا بزنه کوروبرچه یاندن بشه کوترجل آمین

فترى مما سبق ان الاتراك والمغول عرفوا قديماً النصرانيَّة وجنوا اثارها الخلاصيَّة ولولا الحروب وانقلاب الدول في القرن الرابع عشر والخامس عشر للميلاد لما انقطعت النصرانيَّة بينهم · بل لدينا عدَّة آثار تنبئ بتنصُّر كثيرين من المغول والاتراك واستشهاد بعض رجالهم لاجل الايمان بعد تولي بني عثمان على الممالك الاسلاميَّة لكنَّ ذلك يستدعي بحثاً خاصاً نؤجلهُ لفرصة اخرى ان شاء الله

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٧ مفردات نصارى الجاهليَّة الخاصَّة بمساكن الرهبان

قد توفَّرت المفردات العربيَّة التي ورد ذكرها في المعاجم والشعر القديم دلالةً على

مساكن الرهبان فجمعنا منها ما تيسّر لنا على ترتيب حروف المعجم وفي وفرتها شاهد ناطق على شيوع المعيشة الرهبانيّة في انحاء العرب

فمن ذلك (الأسطوانة) وهي السارية وفقاً لمعناها الاصلي في اليونانيّة (στάω) وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبّد فوقهُ بعض الرهبان المدعوين لذلك بالعموديين (Stylites) قال ذو الجدن (سيرة الرسول لابن هشام ص ٢٦ éd. Wüstenfeled)

فانَّ الموت لا ينهاهُ ناهٍ ولو شربَ الشفاء مع النُّشُوقِ
ولا مترهّبٌ في أسطوانٍ يناطحُ جُدْرَهُ بيضُ الأَنوقِ

قال الشارح: الاسطوان والاسطوانة ههنا موضع الراهب المرتفع. وقال في التاج: الفرق بين الاسطوانة والعمود انَّ العمود حجر واحد والاسطوانة بناء.

ومنها (الأُكَيْراح) وهي قلّاية الراهب. ومثلها الكِرْح. واصل الكلمة من السريانيّة ܟܘܪܚܐ قال في المخصّص لابن سيده (١٣ : ١٠) : « الأُكَيراح بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض اعيادهم وهو معروف » . وقال في معجم البلدان (١ : ٣٤٥) : « الأُكَيراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم » وهي ايضاً موضع بعينه وانشد لبكر بن خارجة :

دعِ البساتينَ من آسٍ وتفّاحِ واقصد الى الشيخ من ذات الأُكَيْراحِ
الى الدساكرِ فالديرِ المقابلها لدى الأُكَيْراحِ او ديرِ ابن وضّاحِ

ومنها (التامور) ويُروى بالهمز تأمور . قال في التاج (١ : ٢٠) : « التأمور صومعة الراهب وناموسهُ . . . وقال ابن دريد انَّ اصل هذه الكلمة سريانيّة » . ولم نجدها في المعاجم السريانيّة بهذا اللفظ . ولعلّها من ܛܘܪܐ بالطاء فتكون كالطورة في العربيّة شبّهوا بها مسكن الراهب . او كالطِّمار اي المحلّ المرتفع والله اعلم . وقيل انَّ اصلها من ታቦር (تَبُر) الحبشيّة فابدلوا الباء من الميم (١ ووردت الكلمة في الشعر الجاهليّ في قول الشاعر عن الراهب :

---

١) راجع المعرّب للجواليقي ٣٧ ,ed. Sachau وكتاب فرنكل Fraenkel: *Aram. Fremdw, in arabischen*, p. 269.

ولَهَمْ من تاموره ينتزلُ

ومن الناظهم الشهيرة (الدَّيْر) وهي لفظة سريانيَّة الاصل (ܕܝܪܐ) ومعناها المسكن عموماً لا سيا المحصَّن ثمَّ خصُّوا بها مسكن الرهبان. قال ياقوت في معجم البلدان (٦ : ٦٣٦) : «الدَّيْر بيت يتعبَّد فيهِ الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الاعظم انَّما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال». وقال في اللسان (٥ : ٢٨٧) عن ابن سيده : «الدَّيْر خان النصارى والذي يسكنهُ ويعمرهُ ديَّار وديْرانيّ». وقال ابن الاعرابيّ : «يقال للرجل اذا رأس اصحابهُ : هو رأسُ الدير». وقد شاع استعمال الكلمة في الشعر القديم قال عديّ بن زيد (معجم البلدان ٢ : ٦٨٠) :

نادمتُ في الدير بني عَلْقَمَا عاطيتُهم مشمولةً عَنْدَما
كأنَّ ريح المسكِ من كأسها اذا مزجناها بماء السما

وقد عدَّد ياقوت والبكري وغيرهما في معاجم البلدان نيِّفاً ومئة دير مما ورد ذكرهُ في الشعر القديم. بل ذُكر لابي الفرج الاصفهانيّ كتاب في الديارات خصَّهُ بذكر الاديرة القديمة بين العرب

ومنها الرَّكيح) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٢) : «من ابيات النصارى. (قال) ولستُ من هذه الكلمة على ثقة». (قلنا) ولعلَّ الكلمة تصحيف (الكَرْح) الآتية

ومنها (الصَّرْح) وهو في الاصل البناء العالي وقيل ان الصرح في الحبشيَّة القصر. ولعلَّ الاصحّ انها حبشيَّة [illegible] ومعناها الحُجرة والقلّاية (١

ومنها (الصَّومعة) ومثلها الصومع بناء للراهب محدَّد الطرف. قال في التاج (٧ : ٤١١) : «الصومعة كجوهرة بيت النصارى ومنار الراهب سُمِّيت لدقَّة في رأسها». وقال زين العابدين : «الصومعة المنارة وهي في الاصل مُتعبَّد للراهب». وقد مرَّ ذكرها في الفصول السابقة (راجع الصفحة ١٧٥). واصل الكلمة من الحبشيَّة [illegible] ومعناها الدير والقلّاية. وقد وردت بهذا المعنى في القرآن (سورة الحجّ ع ٤١) ونطق بهذا الشعراء القدماء. روى سيبويه لاحدهم :

اوصاك ربُّك بالتُّقى وأُولو النُّهى اوصوا مَعَهْ
فاخترْ لنفسك مسجداً تخلو بهِ او صومعَهْ

(١ اطلب كتاب نولدك (Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft)

ومنها (الطِّرْبال) وهو كل بناء عالٍ مرتفع وقال ابو عبيدة هو شبيه بالمنارة من مناظر العجم كهيئة الصومعة وانشدوا لدُكَين (راجع ياقوت ٣: ٥٢٥ والتاج ٧: ١١٦):

حتى اذا كان دُوَيْنَ الطِّرْبالْ رجعْنَ منهُ بصهيلٍ صَلْصالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثالْ

وقد وردت الكلمة بمعنى البيعة ومعبد النصارى ولعلها اعجمية

ومنها (العُمْر) قال في التاج (٣: ٣٢٠): «العُمر المسجد والبيعة والكنيسة سُمّيت باسم المصدر لانهُ يُعمَر» والصواب انّ الكلمة سريانية (ܥܘܡܪܐ) وهي الدير. قال المتلمّس (راجع معجم ما استعجم للبكري ص ٦٦٦):

ألكَ السديرُ وبارقٌ ومبايضٌ ولكَ الخورنقْ
والعُمْرُ ذو الاحساء والـــلذّات من صاعٍ ودَيْسَقْ

(قالوا) العُمر في شعر المتلمّس الدير او البيعة والكنيسة

ومنها (القلّاية) اصلها من السريانية ܩܠܝܬܐ اشتقها السريان من اليونانية κελλίον. وقال البكري (في معجمه ص ٣٦٦): «ان كانت القلّاية مضافة الى المواضع فانّما هو العُمْر والعمر عندهم اسم الدير. قال القرواني:

وان انا حيّيتاني تحيّةً فلا تعدوا رَيحان قلّاية القسّ»

ومنها ايضاً (القُوس) وهو الدير واصل الكلمة من الفارسية قال صاحب اللسان (٨: ٦٦): «القُوس الصومعة او موضع الراهب. وقال ياقوت (٤: ٢٠٠): «هو معبد الراهب» وانشد في اللسان:

لا وَصْلَ اذ صُرِفَتْ هندٌ ولو وقفتْ لاستفتنتْني وذا المسحَيْنِ في القُوسِ

وانشد الاصمعي لذي الرُّمة:

على أمرِ منقدِ العفاءِ كأنّهُ عصا قسّ قُوسٍ لينُها واعتدالُها

قال: القسُّ القسّيس والقوس صومعة

ومنها (الكِرْح) وهو مقام الراهب من السريانية ܟܘܪܚܐ بمعناه وقد مرَّ مع الأُكيراح

ومنها (المَنْهِة) وهو مسكن النُّهام او النهاميّ اي الراهب قال ذو الجدن (سيرة الرسول ٢٦-٢٧):

وغُمْدانُ الذي حُدِّثْتَ عنهُ بَنَوْهُ مُسْكًا في رأس نِيقِ
بِمَنْهِمَةٍ وأسفَلُهُ جُروبٌ وحُرُّ المَوْحَلِ اللَّثِقِ الزَّلِقِ
مُرَمَّرةٌ واعلاهُ رُخامٌ تَحامٌ لا يُعيَّبُ في الشُّقوقِ
مَصابِيحُ السَّليطِ تَلوحُ فيهِ اذا يُمسي كتُوماضِ البُروقِ

قال الشارح: المنهمة موضع الراهب

ومنها (النَّاموس) قال في اللسان (٩: ١٣٠): «الناموس بيت الراهب ولعلّهُ «اراد الناووس من اليونانيّة ναός وهو الهيكل. وجاء في التاج: «الناووس مقبرة النصارى»

٨ مفردات لنصارى الجاهليّة في اعيادهم ومواسمهم السنويّة

نذكر هنا الاعياد النصرانيّة الثابتة والمتنقلة التي شاعت عند عرب النصارى كما عرفها غيرهم

اوّلها عيد (السُّبَار) يريدون بهِ ما ندعوهُ عيد البشارة واللفظة سريانيّة الاصل (ܣܘܒܪܐ). قال البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٢٩٤): «السُّبار دخول جبرائيل عليهِ السلام على مريم مبشّرًا بالمسيح». ولم نجد اللفظة في الشعر الجاهلي وانّما وصف اميّة بن ابي الصلت البشارة بابيات رويناها سابقًا

ومنها عيد (الميلاد) وقد سمّاهُ البيروني عيد يلدا (ص ٢٩٣ من السريانيّة ܝܠܕܐ اي ميلاد المسيح

ومنها (القَلَنْدَس) ذكرهُ المسعودي في مروج الذهب (٣: ٤٠٦) ودعاه البيروني القلنداس (ص ٢٩٢) قال وهو رأس السنة وتمام الاسبوع من ولادة مريم. واللفظة لاتينيّة (Kalendæ) قال المسعودي:

يكون فيهِ بالشام لاهلهِ عيد يوقدون في ليلتهِ النيران ويظهرون (الافراح) لاسيا بمدينة انطاكية وما يكون في كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك سائر الشام وبيت المقدس ومصر وارض النصرانيّة كلها وما يظهر اهل دين النصرانيّة بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران ويساعدهم على ذلك كثير من عوامّ الناس وكثير من خواصهم

ومنها (الدِّنْح) ذكرهُ ابن سيده في المخصّص (١٣: ١٠٣) عن ابن دريد قال:

« الدنح عيد من اعياد النصارى ولا احسبها عربيةً وقد تكلمت بها العرب » والكلمة سريانية ܕܢܚܐ ومعناها الظهور اي ظهور السيّد المسيح لبني اسرائيل يوم معموديّته . قال البيروني (٢٩٣) :

« وفي السادس من كانون الآخر دِنْحا وهو عيد الدنح غِطسٌ ويوم المعموديّة الذي صبغ فيه يحيى بن زكريا المسيحَ وغطسهُ في ماء المعموديّة بنهر الاردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمره واتصل به روح القدس شبه حمامة نزلت من السماء على ما ذُكر في الانجيل »

ويعرف عيد الدنح بالغطاس ايضاً . وعلى هذا اللفظ وصفهُ المقريزيّ في الخطط (١:٤٩٤) . ويسمّى ايضاً بيوم العماد

ومنها (السّباسب) قال في المخصّص (١٣:١٠٢) وفي التاج (١:٢٩٤) :

« يوم السباسب عيد للنصارى ويسمّونهُ يوم السعانين ويقال شعانين بالشين . والسباسب الاغصان يريدون بها سَعَف النخل الذي قطعهُ اليهود يوم استقبلوا المسيح في دخوله اورشليم . وقد دعوا ايضاً هذا العيد بعيد الزيتونة . اما السعانين فمشتقّة من العبرانيّة הושענא (هوشعنا) التي كان يتهلّل بها اليهود امام المسيح . وقد وردت لفظة سباسب في الشعر القديم قال النابغة يذكر عيد السعانين بين بني غسّان :

رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجُزاتُهم يحيّون بالرَّيحان يوم السباسبِ

ومنها (خميس العهد) قال المقريزيّ : (١:٤٩٥) ويسمّيه اهل مصر من العامّة خميس العدس ويعملهُ نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة ايام ويتهادون فيه . وقد عرفهُ العرب ايضاً بخميس الفِصْح وورد على هذا اللفظ في ترجمة عدي بن زيد الشاعر الجاهليّ في كتاب الاغاني (٢:٣٢) حيث ذكر دخول هند بنت النعمان كنيسة الحيرة قال : « خرجتْ في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة ايام تتقرّب في البيعة »

ومنها (الفِصْح) كانوا يقدّمون عليه الصوم الاربعينيّ وقد ذكرهُ العرب . انشد سيبويه لبعضهم (في كتابه ٢:٢٧) :

صدَدْتِ كما صدَّ عمّا لا يحلّ لهُ ساقي نصارى قُبيلَ الفِصْح صوّامُ

ومن كلامهم في ذلك « تنكّس النصارى » اذا تركوا اكل اللحم . وقال ابن دريد

« تنحّس النصارى اذا تركوا أكل الحيوان . وهو كلام عربيّ صحيح ولا ادري ما اصلهُ (التاج ٤ : ٢٥٥) . ولعلهُ من « تنحّس الرجل » اذا جاع . ويقول البعض تنهّس بالهاء وهو من تصحيف العامة . اما الفِصح فمن السريانية ܦܨܚܐ واصلها ܦܣܚ العبرانيّة وتكرَّر ذكر الفصح في الشعر العربيّ الجاهليّ . قال الاعشى يمدح هوذة بن علي النصراني الذي كان اطلق اسرى بني تميم يوم عيد الفصح تقرُّباً لله :

فكَّ عن مئة منهم إسارهمُ واصبحوا كلهم من غُلِّهِ خلعا
بهم تقرَّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل . قال اوس بن حجر يصف رمحهُ وقد شبَّه سنانهُ بمصباح يوقدهُ رئيس النصارى يوم الفصح (شعراء النصرانيّة ص٤٦٤) :

عليهِ كمصباح العزيز يشبُّهُ لفصحٍ ويحشوهُ الذُّبالَ المفتَّلا

قال الشارح : « اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لاسيما اذا اشبَّهُ في ليلة الفصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان انور واكثر ضوءًا » . وقال عدي بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح (الاغاني ٢ : ٥٣) :

بكروا عليَّ بسحرةٍ فصبحتُهم باناء ذي كرم كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملءِ اليدين كأنها قنديلُ فِصحٍ في كنيسة راهبِ

وممَّن اشاروا الى افراح النصارى في عيد الفصح عبدالله بن زبير قال (الاغاني ١٣ : ٤٦) يهجو حجَّار بن ابجر لعيد بني عجل :

فكيف بعجلٍ ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجلٍ ومرجلكم يغلي
وعندك قسيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صهباء مثل جنى النحلِ

ويدعون ايضاً الفصح بالقيامة لتذكار قيامة السيد المسيح من الموت يوم الفصح . ومن الالفاظ العربيّة في ذلك (الباعوث) ودعاها في المخصّص (١٣ : ١٠٢) الباغوث بالغين قال : اعجمي معرَّب عيد النصارى . وفي تاج العروس (١ : ٦٠٢) : « الباعوث استسقاء النصارى وهو اسم سرياني . قيل هو بالغين المعجمة والثاء المثلثة » . وهو بالسريانيّة ܒܥܘܬܐ ومعناها الصلاة والدعاء . وقد خصُّوا بها رتبةً تُقام ثاني يوم عيد

الفصح. وقد وردت اللفظة في حديث عُمر لمَّا صالح نصارى الشام شرط عليهم « ان لا يُحدِثوا كنيسة ولا قلّية ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثاً »

ومنها (السُّلاق) قال البيروني في الاثار الباقية (ص ٣٠٨) : « وبعد الفطر (يريد الفصح) باربعين يوماً عيد السُّلاق ويتّفق ابدًا يوم الخميس وفيه تسلّق المسيح مصعدًا الى السماء من طور زيتا وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أفصح فيها ببيت المقدس الى ان يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس » واصل الكلمة من السريانية ܣܘܠܩܐ ومعناها الصعود وروى البكري (٣٧٠) لشاعر اسلامي :

بحرمة الفصح وسُلّاقكم يا عاقد الزنّار في الخصرِ

ومما ذكروا من اعياد النصارى (الهَيْزَمن) وروى ثعلب الهَيزَمر. قالوا عيد للنصارى (المخصّص ١٣ : ١٠٢) ولم يزيدوا ايضاحاً. وقد وردت اللفظة في شعر الاعشى :

اذا كان هيْزَمْنٌ ورُحتُ مُخشّما

قال صاحب التاج (٩ : ٣٦٨) : « الهَيْزَمن الجماعة معرَّب هَنْجَمَن او أنجُمَن عند الفرس ويُطلق على مجلس الشرب او لجمع الناس مطلقاً او لعيد من اعياد النصارى ». وقد دخلت اللفظة في السريانية ܗܢܓܡܢ ويراد بها الحفلة

ونضيف الى ما سبق لفظة (الشَّمْعَة) قالوا هي قراءة النصارى واليهود في اعيادهم. وذكروا عن الخليفة المتوكل انهُ حرم على النصارى « ان يظهروا في شعانينهم صليباً وان يُشمِعوا في الطريق (١) ». وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت ٢ : ٦٦٧) :

وقد نطق الناقوسُ بعد سكوتهِ وشَمْعَلَ قسّيسٌ ولاح فتيلُ

وقال مدرك الشيباني (تزيين الاسواق ص ٣٣٠) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشمْعِلين يعبدون عيسى

(لهُ بقيّة)

---

(١) اطلب المجلّة الاسيوية الالمانيّة ZDMG. XXIX, 639 et XLVI, 44

البرهان الصريح
في اثبات أُلوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السادس

الوهيّة المسيح في تعليمهِ

انّ ما سبق من وصف حياة السيّد المسيح وقداستهِ واعمالهِ ومعجزاتهِ يُعدُّ كتمهيد لبيان الوهيّتهِ في تعليمهِ . لانَّ تعليم الاستاذ يكون انفذ واثبت في قلب التلميذ اذا ما رآهُ بالعيان في سيرة معلّمهِ. ولذلك افادنا القديس لوقا (اعمال ١:١) عن المخلّص انّهُ ابتدأ « فعمل جميع الامور التي علّم بها » . وقد قال هو عزَّ جلالهُ (متى ٥:١٦) انَّ « الذي يعمل ويعلّم هو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » . فيحقّ علينا ان نسمع معلّماً لم يلقّن تلاميذهُ شيئاً الّا وعمل بهِ ولا سيما اذا كان المعلم الهًا

جاء المسيح الى العالم ليرشد العالم اذ « كان هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم » (يوحنا ١:٩) . وكفى باسمهِ دليلًا على ذلك اذ هو « الكلمة » قال يوحنا (الرؤيا ١٩:١٣) : « اسمهُ كلمة الله » وبهذا نطق القرآن فقال (سورة النساء ع ١٦٩) عن المسيح انهُ « رسول الله وكلمتهُ القاها الى مريم وروحٌ منهُ » فصار اسم الكلمة كمميّز للسيّد المسيح . ومنهُ يلوح انَّ تعليمهُ حقٌّ لا ريب فيهِ يجب ان يخضع لهُ كل من يسمعهُ وانَّ من لم يسمع عقوق سيُطالب عن اعمالهِ يوم الدين

وتعليم المسيح كان الانبياء سبقوا ونوّهوا بشرفهِ واشاروا بالرضوخ لهُ قال موسى (تثنية الاشتراع ١٧ : ١٥) : « يقيم لك الربُّ الهك نبيًّا من بينكم من اخوتك مثلي لهُ تسمعون » . ومثلهُ قول اشعيا النبي (٢ : ٢—٣) : « ويكون في آخر الايّام انَّ جبل بيت الربّ يوطّد في رأس الجبال . . وتجري اليهِ جميع الامم . . . ويقولون هلمّوا نصعد الى جبل الرب الى بيت يعقوب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبُلهِ لانّها من

صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الربّ ». وكان هـذا الامر راسخاً في قلوب بني اسرائيل تدلّ عليهِ تقاليدهم واقوال الربّانيين التي سبق لنا ذكر بعضها ومفادها انّ الله بذاتهِ سيكلّم شعبهُ ويرشدهُ في عهد السيّد المسيح. وهذا التقليد شاع حتى بين اهل السامرة يشهد عليهِ قول السامريّة ليسوع عند بئر يعقوب (يوحنا ٤ : ٢٥) : « قد علمتُ انّ ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكل شيء ». وقد اراد الآب الازليّ يوم تجلّي السيد المسيح على جبل الطور ان يذكّر التلاميذ بهذه الوصيّة لما خرج صوت من السحابة يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت فلهُ اسمعوا (لوقا ٩ : ٣٥)

فاذ ثبت انّ المسيح جاء ليعلّم وانّهُ هو كلمة الله الناطقة التي يجب على البشر استماعها فدعنا ننظر بايّ شيء يمتاز هذا المعلّم عن بقيّة المعلّمين ثم نفحص عن تعليمهِ لنتبيّن خواصهُ ومضامينهُ ونستنتج من كلا الوجهين انّ المعلّم هو الله وانّ تعليمهُ يثبت الوهيّتهُ

١ امتياز السيّد المسيح عن بقيّة المعلّمين

لا يجهل احد مقام الاستاذ سواء كان في التهذيب ام في العلم ام في الصناعة حتى أنهم كانوا يجلّونه بمثابة الوالد الطبيعيّ بل اكثر منهُ . رُوي عن الاسكندر انّهُ سُئل : ما بالك تعظّم مؤدّبك اكثر من تعظيمك لابيك فقال : انّ ابي سبب حياتي الفانية ومؤدّبي سبب حياتي الباقية . وعلى مثل ذلك قال الشاعر

اقدّم استاذي على نفس والدي — وان نالني من والدي الفضلُ والشرفْ
فذاك مربّي الروح والروح جوهرٌ — وهذا مربّي الجسم والجسمُ من صدفْ

وكان بلغ بهم تعظيم الاستاذ الى ان يكتفوا عن كل محاجّة اذا قيل لهم : «قال الاستاذ »

على انّ الاستاذ مهما كانت رتبتهُ وعلوّ شأنهِ لا ينطق باسمهِ بل هو وسيط بين الطالب وبين السُّنَن التي يلقّنها تلميذهُ فان دعا الى الادب نطق باسم الفضيلة وان دعا الى العلم تكلّم باسم الحقّ الذي لاح لهُ وقصد نصرتهُ وان قضى بالعدل جرى على مقتضى شريعة هو الممثّل لها والدافع عنها. تتبّع الاساتذة في اي زمن كانوا وفي ايّ فن هذّبوا لا تجد واحداً منهم تكلّم باسمهِ كأنّهُ هو والعلم واحد هو والفضيلة واحد

هو والشرع واحد ولو حاول استاذٌ منهم ان يفعل ذلك لصار اضحوكةً بين الناس وعدل عنهُ القوم ليس في شروده. وعليهِ اجاب افلاطون لمن احتجَّ بتعليم الاستاذ: «انّ الاستاذ صديقي والحقّ صديقي. لكنّ الحقّ احبُّ اليَّ من الاستاذ» ففرز بين الاستاذ والحقّ الذي ليس الاستاذ الّا ناقلاً عنهُ وراوياً لسُنَّتهِ

وما نقولهُ من اساتذة الفنون الطبيعيَّة ومعلمي العلوم البشرية يصحُّ ايضاً في اولئك الاساتذة الكرام اعني الذين وكلَ الله اليهم ارشاد الشعوب الانبياء والرسل فانهم لم يتكلموا باسمهم بل باسم الربِّ الذي ارسلهم ولذلك تسمعهم بعد أن أيدوا بالمعجزات رسالتهم يكرّرون على مسامع الناس الذين أُرسلوا اليهم: «قال الله». «هذه هي كلمةُ الله». «هذا ما امرني الله ان ابلغهُ مسامعكم». «باسم الله الرحمان الرحيم». هكذا نطق موسى النبيّ وهذا ما قالهُ اشعيا وارميا وبقيّة الانبياء اصغرهم واكبرهم

على انّ هذه القاعدة قد شذَّت مرَّةً واحدة في تاريخ العالم. وذلك في عهد اوغسطوس قيصر وخلفهِ طيباريوس اذ قام يوماً رجلٌ لم يدخل قطُّ مدرسةً عمرهُ ثلاثون سنة في مدينة من الجليل يعدُّها اليهود من احقر مدنهم وكان اسم الرجل يسوع لم يُعرَف سابقاً لا بعلم ولا بسياسة ولا ببلاغة بل كان خاملاً يرتزق قبل ذلك بمهنة النجارة. فهذا الرجل تصدَّى ايضاً للتعليم ودعا اليهِ التلاميذ من الصيَّادين والاميين فتركوا كلَّ شيءٍ ليتبعوهُ دون تردّد

ومن غريب امر هذا الرجل انهُ لم يباشر بالتعليم حتى امتاز من ساعتهِ عن بقيَّة المعلمين اليهود من فريسيين وكتبة وربَّانيين «فبهت الجميع من تعليمهِ لانهُ كان يعلّم كمن لهُ سلطان لا ككتبتهم والفريسيين» (متى ٧: ٢٨-٢٩) بل كان الذين يترصدونهُ من الاعداء ويجسُّونهُ ليأخذوهُ في كلمة يعودون مندهلين وصارخين: «انهُ ما نطق انسان قطُّ بمثل ما ينطق هذا الرجل» (يوحنا ٧: ٤٦). وكانت ثقتهُ بنفسهِ بلغت بهِ الى ان يعارض بين تعليمهِ وتعليم كل من تقدَّمهُ ليزيدهُ فضلاً وكمالاً: «قد قيل للاقدمين . . . أمَّا انا فاقول لكم . . .»

ولم يتميَّز فقط يسوع من بقيَّة المعلمين بسلطانهِ في التعليم وبلاغتهِ في الكلام. كما انهُ لم يكتفِ بان يكون شاهداً للحق ناقلاً لكلام الله عرضاً للناس على نهج

طريق الفضيلة بل وعد المؤمنين بهِ الحياة الابديَّة (يو ٦ : ٤٧) وانَّ الذي يسمع كلامهُ « لا يصير الى دينونة لكنَّهُ ينتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) وان « من آمن بهِ وان مات فسيحيا » وانَّ « الذي يأكل جسدهُ ويشرب دمهُ سيقيمهُ في اليوم الاخير » (يو ٦ : ٥٥) . فكانت هذه المواعيد تطرق آذان بني اسرائيل لاوَّل مرة اذ لم يسمعوا مثلها من افواه انبيائهم ولم يقرأوا في كتاب انَّ رجلًا تعهَّد بشيءٍ منها

وكأنهُ لم يرض بالمواعيد لمن آمن بهِ بل جعل نفسهُ الكلَّ في الكلّ فلم يخجل ان يقول من نفسهِ ما لم يخطر على بال بشرٍ قبلهُ . فقال انهُ « ابن الله » (لوقا ٢٢ : ٧٠ ويو ٧ : ٣٥–٣٧) وانهُ « في الآب كما انَّ الآب فيهِ » (يو ١٠ : ٣٨ و١٧ : ٢١) وانَّ « الذي يراهُ يرى الآب » (يو ١٤ : ٩) وانَّهُ « هو والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) وانَّ « الكلام الذي يفوه بهِ هو كلام الاب بعينهِ » (يو ١٤ : ١١)

ومثل هذا بل اغرب منهُ ما صرَّح بهِ امام تلاميذهِ وامام الجماهير المقبلة اليهِ فقال في وصف ذاتهِ : « انا نور العالم والذي يتبعني لا يمشي في الظلام » (يو ٨ : ١٢) « انا الباب ان دخل بي احد يخلص » (يو ١٠ : ٩) « انا القيامة والحياة » (يو ١١ : ٢٥) « انا الطريق والحق والحياة لا يأتي احد الى الآب الَّا بي »

فأيم الله هذا كلام لا ينطق بهِ الَّا احد ثلاثة او رجلٌ معتوه وذو جنون مُطبق او مجدّف كافر او إله . فلا مناص من احد هذه الثلثة لأنَّ كلاماً مثل الذي ذكرناهُ لا يقول بهِ رجلٌ عاقل ولا نعلم احدًا قال بن السيّد المسيح انهُ رجلٌ مجنون حتى اعداؤهُ لم يقولوا بهِ والملحدون الذين لا يقرُّون بلاهوتهِ يعتبرونهُ كحكيم عظيم . وكذلك التجديف لا يستطيع احد ان يثبتهُ على المسيح مع ما رأينا من قداسة حياتهِ وتأييد الله لرسالتهِ بالعجائب . فلا يبقى الَّا القول بانَّ هذا الاستاذ يفوق كل الاساتذة كما تفوق السماء على الارض والثريَّا على الثرى وانَّ المسيح معلم الهيٌ وإله حق

ولعلَّ احدًا يزيد رابعاً على ما قلنا فيزعم انَّ الاناجيل حرّفت الَّا انَّ المقالات المدونة سابقاً في المشرق قد تلافت هذا الاعتراض ووحدت الباب دونهُ فلتراجع

٢ تعليم السيّد المسيح وخواصهُ

لا نجهل انَّ قدماء الانبياء أتوا ببعض ما علَّمهُ السيّد المسيح فاثبتوا توحيد الله وقرروا كمالاته تعالى وافادوا وجود الملائكة والارواح الشريرة واعلنوا بخلود

لتقى وعواقب الانسان ونقلوا لبني اسرائيل اوامرهُ عزَّ وجل لكنْ كل مساعي الانبياء بقيت محصورة في أمَّة واحدة قليلة العدد بينما كان الشرك يعمُّ الارض كلَّها بعبادة الاصنام سائدة على معظم الشعوب · وكم تمرَّد الاسرائيليُّون انفسهم على ربهم وعصوا وصاياهُ وجنحوا الى التوثن حتى انَّ الله اضطرَّ الى تأديبهم دفعات متوالية ليعودوا الى خدمتهِ

فلمَّا ظهر السيح نشر تلك الحقائق ليس بين اليهود فقط بل بين الامم كلها التي كانت متسكعة في ظلمات الضلال حتى تقلَّص بعد قليل ظلّ الشرك الممتدّ على اقاصي الارض فلم يمضِ على النصرانيَّة ثلاثة اجيال حتى اخضعت لتعاليمها ارقى الشعوب تمدُّنًا وامرتهم في الحجَّة كما تشهد عليهِ الآثار العديدة الباقية الى يومنا والعاديَّات التي تتكرر اكتشافها في أيامنا

ثم يجب القول بان تلك حقائق الدين الطبيعيّ قد ارسخها السيد المسيح في عقول البشر حتى كادت تمتزج اليوم بدمهم وعليها مبنى كل شرائعهم ومعاملاتهم فبفضلهِ وفضل دينهِ لم يدع للشكّ مجالًا عن جحود الله وجوهرهِ وكمالاتهِ وعن اصل الانسان وغايتهِ واواخرهِ من نعيم وجحيم. فترى في الانجيل كلّ هذه الحقائق مفصَّلة موضحة بكلام بسيط قريب المنال يسطع في خلالهِ نور الحقّ اي سطوع بحيث يدركه العلماء والجهلاء معاً دون عناء. ولا مشاحَّة نجد في صُحيفات قليلة ما لا تجدهُ في مجموع كتب الفلاسفة اجمعين بل في جميع اسفار العهد العتيق

ولم يقصر السيد المسيح وحيهُ على الحقائق الطبيعيَّة التي لم يكد يتجاوزها معظم انبياء بني اسرائيل بل اماط الحجاب عن حقائق أُخرى فائقة الطبيعة ممَّا لم تُحط به معرفة الانسان قبلًا ولم يوحِ بهِ الى اوليائهِ الَّا وحياً خفيفاً غير كافٍ.

فمن ذلك سرّ الثالوث الاقدس اي الاله الواحد في الثلثة الاقانيم الذي استشفَّ الآباء والانبياء كابراهيم الخليل وموسى الكليم وداود الملك واشعيا النبيّ كما يظهر من بعض آيات الاسفار المقدَّسة فجاء المسيح وكشف عنه النقاب واوضح به للبشر حقائق عن اللاهوت تسامت فوق مداركهم فتشرَّفت بمعرفتها عقولهم شرفًا لا مثيل له وان لم يدركوا كنهها وجوهرها . قال ارسطو : ان معرفة القدر القليل عن الله تفيد الانسان وكرامة اكثر من المعارف الطبيعيَّة الواسعة · فشكرًا للمسيح ألف

شكر اذ ادخلنا بهذا الوحي في مقدس اللاهوت فعرفنا ذاك الآب الذي منهُ كل ابوةٍ على الارض والذي منذ الازل عرف نفسهُ معرفةً جوهريةً كانت نتيجتها ايلادهُ لابنهِ ضياء مجدهِ وصورة جوهرهِ (عبر ١ : ٤) فاحبَّ الآب ابنهُ واحبَّ الابن اباهُ فحصل من حبهما الجوهريّ المتبادل اقنوم بثقة كلاهما كبدإٍ واحد وهو الروح الكلي قدسهُ

وبهذا السرّ تُناط اسرار أُخرى كتجسُّد ابن الله في احشاء بتول طاهرة وكـر فداء البشر بموتهِ وقيامتهِ وكسرّ حلول روحهِ الاقدس على تلاميذهِ . فكل هذه الاسرار لم نكن لنطّلع عليها لولا السيّد المسيح الذي اوحى بها للعالم ورفع بها الانسان من ذلّ كيانهِ بعد ولادتهِ مدنساً بالخطيئة الجدّية الى اوج العظمة والشرف وشركهُ بلاهوتهِ كما قال القديس بطرس في رسالتهِ الثانية (١ : ٤)

وكما اعلمنا السيّد المسيح بكل هذه الاسرار التي تقصر مقدرة الانسان عن ان تنالها كذلك اوضح لنا بأنهُ اقام جماعةً على الارض جعلها مستودع تعاليمهِ وايّدها بروحهِ ووعدها بالبقاء معها الى منتهى الاجيال وجعل فيها الرئيس والمرؤوس وعصم رأسها اي نائبه على الارض عن الضلال . وهذه الجماعة إنْ هي الا الكنيسة

وكذلك جعل في هذه الكنيسة ينابيع محيية تجري الى كل اعضائها وتُنفذ في عروقهم حياة الهيّة ترشحهم للحياة الابدية اوّلها المعمودية التي تطهّرهم من الخطيئة الاصليّة . والتثبيت الذي يؤيدهم بنعمة الروح القدس ويقوّيهم في الجهاد ضدّ اعداء نفوسهم . والقربان الذي يقوت نفوسهم بطعام سماويّ اودعهُ شخصهُ الكريم تحت اعراض الخبز والخمر . والتوبة التي تعيد لهم ثوب البرارة المفقود بالخطيئة . ومسحة المرضى التي تعضدهم في الجهاد الاخير وتؤهلهم لدار النعيم . والكهنوت الذي يربطهم مع الله . والزواج الذي يقدّس حياتهم الاهليّة وينميهم بالبركة والمدد

وكما فتح السيّد المسيح بواسطة الاسرار ينابيع حيّة تجري للحياة الابدية كذلك علّم البشر افضل صلاة يتقرّبون بها الى اللاهوت فضمّنها بوجيز الكلام اشرف المعاني واسمى الادعية ألا وهي الصلاة الربيّة التي لا يتأمّلها الانسان الّا يزيد منها عجباً افتتحها بكلمة « ابانا » اعذب الكلمات وادعاها الى الحبّ والثقة . واردفها بادعية لتقديس اسم الربّ وانتشار ملكهِ ونجاز مشيئتهِ ليطلب الانسان قبل كل

شيءٌ ملكوت الله وبرّه" ثمّ أتبعها بالتماس الخبز اليومي والصفح عن الذنوب والنجاة من الشرّير ليقضي الانسان على الارض حياةً صالحةً مع كفاف العيش فهي حقيقةً صلاةُ كلّ الشعوب وكلّ الازمنة وكلّ الامكنة لم يستطع ان يؤلّفها الّا مكوّن قلوب البشر والعارف بأفضل الوسائل لتقريب المخلوق من الخالق (١

فكلّ هذه التعاليم قد ادخلت العالم في طور جديد لم يَدُر في خَلَد انسان. فلا عجب بعد ذلك ان ترى تلاميذ المسيح يتبعون معلمهم ويموتون في سبيله فرحين. وكأني بكل واحد منهم يكرّر قول بطرس لسيّده (يو ٦:٦٩): «يارب الى من نذهب غيرك انّ كلام الحياة الابدية هو عندك». ولا شكّ انّ بيسوع تمّت نبوّة اشعيا (٥٤:١٣) حيث قال لاورشليم: «وكلّ بنيكِ يكونون تلامذة الرب». وهي الآية التي اشار اليها السيّد المسيح لمّا قال (يو ٦:٤٥): «قد كُتب في الانبياء انهم يكونون باجمعهم متعلمين من الله»

هذا ما كشفهُ ابن الله للبشر من الحقائق الدينيّة سواء كانت في حيّز ادراكهم ام تفوق على مداركهم الطبيعيّة فاستحقّ بكلها الشكر المخلّد لانّهُ خير المرشدين «فمن تبعهُ لا يمشي في الظلام بل يكون لهُ نور الحياة» (يو ٨:١٢)

لكنّ المسيح لم يوحِ فقط بحقائق تنير العقول وتنقذ المرء من الضلال بل علّم اموراً اخرى عمليّة نهجت للانسان طريق الكمال الذي لم يخطر على بال القدماء، ليس الوثنيين فقط بل بني اسرائيل ايضاً

كانت شريعة موسى شريعة العَدل مرجعها الى تأدية المرء لكلّ ذي حقّ حقّهُ فلله العبادة وللقريب المساواة. امّا غاية ما وصلت اليه شريعة الحكماء وفلاسفة اليونان فذاك المبدأ الفلسفيّ الشهير: «اعرف نفسك» الذي اردفوهُ بهذا: «لا تصنع بغيرك ما لا تشاء ان يصنعهُ بك». واين اين كلّ ذلك من شريعة المسيح الفُضلى. فانّهُ عزّ اسمهُ بنى شريعتهُ على الكمال اذ وضع لتبعتهِ مثال الكمال التامّ في ابيهم السماوي قائلاً (متى ٥:٤٨): «كونوا كاملين كما انّ اباكم السماويّ هو كامل» وأعلمهم بالطريق الى هذا الكمال اي «الطريق الحرجة التي تؤدي الى

١) راجع الكتاب الذي وضعهُ مؤخراً الاب ي. شلفون «الشروح الوفيّة للصلاة الربيّة»

الحياة » (متى ٧ : ١٤) وما هذه الطريق الّا طريق مقاومة الحواسّ وكبح الشهوات طريق الصليب التي سبق فنهجها امام البشر ودعاهم الى الاقتداء بهِ قائلًا (متى ١٦ . ٢٤ ولوقا ٩ : ٢٣) : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ كل يوم ويتبعني »

بين هذين الحدَّين جعل السيّد المسيح كمال شريعتهِ التي ليس فوقها كمال . فعلّم البشر اوّلًا ان يشخصوا الى السماء حيث مصدر كلّ عطيَّة صالحة فيعرفوا الههم لأنّ في معرفتهِ السعادة الابديَّة (يوحنا ١٧ : ٣) واذا عرفوهُ « احبُّوهُ بكل قلبهم وكل نفسهم وكل قدرتهم وكلّ ذهنهم » (لوقا ١٠ : ٢٢) . ولا تكون خدمتهم لهُ كما كانت في العهد العتيق خدمة العبد او الاجير فقط اعني خدمة الخوف من عقابهِ او الامل بثوابهِ بل خدمة الابن المحبّ للاب المحبوب لا يطلب سوى مرضاة ابيهِ وتتمّة مشيئتهِ . ولذلك لقّن السيّد المسيح تلاميذهُ اعتبار الله عزّ وجلّ كأبٍ حنون فيلتجئون اليهِ بكل ثقة في سائر ضيقاتهم وحاجاتهم فلا يُهملهمْ البتّة لأنّ عنايتهُ تشمل كلّ البرايا حتى زنابق الحقل وطيور السماء فلا ينسى مخلوقاتهِ الناطقة المصنوعة على صورتهِ (لوقا ١٢ : ٢٠-٣٨) وان كان الناس الاشرار يعرفون ان يمنحوا العطايا الصالحة لأبنائهم فكم بالحري يمنح الآب السماويّ الصالحات لمن يسألهُ (متى ٧ : ١١) وهذا الآب يعلم بحبّه عبادهِ فاذا خطئوا واتوا الى الههم اسرع الى الصفح عنهم مهما تمادوا في الاثم كما بيّن الرب ذلك بمثل الابن الشاطر (لوقا ١٥ : ١١-٣٢)

وبعد أن عزّز السيّد المسيح في قلوب اتباعهِ حبّهُ تعالى والاتكال على رأفتهِ اراد ان يوطّد فيهم حبّ الكفران بذاتهم الذي يحرّرهم من ربقة الشهوات الثلاث التي تستعبد البشر في العالم واشار اليها يوحنا في رسالتهِ الاولى (٢ : ١٦) فقال : « انّ كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة » فعلاجاً لهذه الادواء نطق السيّد المسيح بالتطويبات الثماني التي ترفع بالانسان فوق طبيعتهِ وتجعلهُ في حياتهِ الفانية اشبه بملائكة الله فقال (متى ٥ : ٣-٩) : « طوبى للمساكين بالروح ... طوبى للودعاء ... طوبى للحزانى ... طوبى للجياع والعطاش الى البرّ ... طوبى للرحماء ... طوبى للانقياء القلوب ... طوبى لفاعلي السلامة ... طوبى

المضطهدين » فكسر ابن الله بهذه الاقوال المسجدية الاغلال التي يتقيد بها قلب الانسان من الشهوات الفاسدة والاميال المنحرفة ورقى به الى ذروة الكمال

واذا تحرّر الانسان من هذه القيود التي تأسره وتهبطه فكم يسهل عليه بعد ذلك ان يُحبّ قريبهُ كنفسهِ . وهذه المحبة للقريب قد أبلغها السيّد المسيح الى درجة لم يتوهمها احد من المشترعين القدماء حتى موسى النبيّ . فانّ الربّ على خلاف الاقدمين لا يقصد فقط بالقريب الاهل او الاقارب او المحسنين او ابناء الجنس بل كل البشر حتى الاجانب والغرباء كما اوضح ذلك في مثل السامريّ الصالح الذي اعتنى بامر احد ابناء السبيل بعد ان سقط في ايدي اللصوص فعرّوهُ واثخنوهُ بالجراح وكان مرّ به قبلهُ لاويّ وكاهن جازا دون الاكتراث به وكان الاجدر بهما ان يرحماهُ (لو ١٠ : ٣٠ – ٣٧)

ولم يستثنِ الاعداء من محبّة القريب بل قضى صريحاً بحبّهم حيث قال (متى ٥ : ٤٢) : « قد سمعتم انهُ قيل أحبب قريبك وأبغض عدوّك اما انا فاقول لكم احبّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم وصلّوا لاجل من يُعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانهُ يُطلع شمسهُ على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين فانكم ان أحببتم من يُحبّكم فايّ أجر لكم أليس العشّارون يفعلون ذلك وان سلّمتم على اخوانكم فقط فاي فضل عملتم اليس الوثنيّون يفعلون ذلك »

وهذه الوصيّة بمحبّة الاعداء قد كرّرها الربّ مرارًا على مسامع تلاميذهِ كي لا يغلبوا الشرّ بل يغلبوا الشرّ بالخير كما قال بولس رسولهُ (رومية ١٢ : ٢١) ومن ثمّ اراد ان يغفر الانسان للمسيء اليهِ « لا الى سبع مرّات بل الى سبعين مرّة سبع مرّات (متى ١٨ : ٢٢) اي دائماً بلا انقطاع . واوصى بان لا تغرب الشمس على احد وهو غضبان على اخيه بل يدع قربانهُ ان تذكّر انّ اخاهُ واجدٌ عليهِ فيترضاه ثمّ يعود الى تقدمة قربانهِ (متى ٦ : ٢٢) . ومن وصاياهُ الى تلاميذهِ (متى ٥ : ٢٩) : « لا تُقاوموا الشرّير بل من لطمك على خدّك الايمن حوّل لهُ الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فخلّ لهُ رداءك ايضاً ومن سخّرك ميلاً فامشِ معهُ ميلين » . وقد اختصر ابو الريحان البيرونيّ هذا التعليم الالهيّ في كتابهِ المثبت « في تحقيق

ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » (ed. Sachau, p. ۲۸۰) قال :

« اما (اي الدرابيَّة) مبنيَّة على الخير وكفّ الشرّ من تَرْك القتل اصلًا ورمي القمصان خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الاخرى والدعاء للعدوّ بالخير والصلوة عليه وهي لعمري سيرة فاضلة »

وما قولنا الآن ببقيَّة سُنَن السيّد المسيح الذي لم يذهل عن طبقة واحدة من البشر بل عيَّن للكبار والصغار للاقوياء والضعفاء للاغنياء والفقراء حقوقهم وواجباتهم فانَّهُ كما امر ان نؤدّي قبل كل شيء ما لله لله امر ايضاً ان نوفي ذوي السلطة حقوقهم فنصغي الى تعاليم رؤساء الدين الجالسين على كرسيّ موسى (متى ٢٣ : ٢) ونعطي ما لقيصر لقيصر (متى ٢٢ : ٢١) لكنهُ ذكَّر السادة والملوك بانَّ كلَّ الناس اخوة وابناء لاب واحد (متى ٢٤ : ٨) فيجب عليهم معاملة مرؤوسيهم بالرفق والمحبة بل اراد انَّ الكبير بينهم يعتبر نفسهُ كالاصغر كما كان هو السيّد خادماً لتلاميذه (لوقا ٢٢ : ٢٦—٢٧)

اوصى الاغنياء بالصدقات الواسعة ونشطهم بذكر الثواب فقال لهم (لو ٦ : ٣٨) : « أعطوا تُعطَوا . تُعطَون كيلًا صالحًا مُلبَّدًا مهزوزًا فائضاً في احضانكم لانهُ بالكيل الذي تكيلون يُكال لكم » . ومع ذلك لم يشأ ان يبطلوا ويزمّروا اذا فعلوا حسنةً بل اراد ان تجهل يسارهم ما اعطت يمينهم (متى ٦ : ١—٤) . وفرضَ الصدقة حتى على الفقراء بقدح ماء بارد يعطونهُ محبةً بالله (متى ١٠ : ٤٢) كما انهُ اثنى على الارملة التي تصدَّقت بفلسَين فحكم لها بالسبق على من سواها من المحسنين لأنها القتهما في الخزانة من عوزها (مرقس ١٢ : ٤٣—٤٤)

وهذه فريضة الصدقة قد اثبتها بمثال حسّي اي مثال لعازر الفقير والغني الشرّير اللذين فلا جزاءهما فالاوّل نُقل الى حضن ابرهيم جزاء لصبره ودُفن الثاني في جهنَّم لاجل قساوته وبخله (لوقا ١٦ : ١٩—٣١) . واردف ذلك بكلام الديَّان في يوم الدين اذ يفتح سماءهُ لذوي الرحمة والمحسنين الى البائسين ويلقي الى الظلمات البرّانيَّة الاشرار الذين قسُّوا قلوبهم على الفقراء والمساكين الممثلين لشخص المسيح

وكما امر بالاحسان الى القريب تقدّم ايضاً بصون عرضه فلا تدينة لئلَّا تُدان

لا تقضي على احدٍ فلا يُقضى علينا (لوقا ٦ : ٣٧) . وشدَّد التكير على من يشكك قريبهُ لاسيا الصغار بينهم فينالهُ عقابٌ عظيم (متى ١٨ : ٦—٨)

هذه شرائع السيد المسيح بخصوص القريب وليست وصاياهُ لكل انسان بخصوص نفسهِ دونها شأناً واعتباراً فانهُ حرَّج في لزوم الصلاة والمثابرة عليها ولاسيا في السرّ مع الفرار من مديح الناس عليها (متى ٦ : ٦) اوصى بالصوم المقصود بهِ وجه الله دون نظر البشر (متى ٦ : ١٦—١٨) وكم كرَّر ذمَّ الحرص والبخل ومحبَّة المال فقال (متى ٦ : ١٩) : « لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يُفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون لكن اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يُفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون فيسرقون لانهُ حيث كنزك هناك يكون قلبك » . وجعل حبَّ المال بمثابة الصنم يشركهُ الانسان بالله فقال (متى ٦ : ٢٤) : « لا يستطيع احد ان يعبد ربين لانهُ اما ان يُبغض الواحد ويحبَّ الآخر او يلازم الواحد ويرذل الآخر . لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال »

وكما ألجم المسيح شهوة المال كذلك كبح شهوة اللذَّات الفاسدة فانهُ لم يكتفِ بان يحظِّر الزنى على البشر حكم بالزنى على مجرَّد النظر الى المرأة لشهوتها (متى ٥ : ٨) . كذلك اعاد الزواج الى شرفهِ الاصلي بان انهى عن تعدُّد الزوجات وعن طلاق الزوجة الَّا لعلَّة زنىً دون الترخيص بزواج آخر ما دامت المرأة حيَّة (متى ٥ : ٣١—٣٢ و١ كور ٧)

ويوافق هذه التعاليم وصايا المسيح في حفظ اللسان من الحَلف الباطل والحنث بالأيمان (متى ٥ : ٣٣—٣٨) بل من كلّ كلمة باطلة حيث قال (متى ١٢ : ٣٦) : « اقول لكم انَّ كلَّ كلمة بطَّالة يتكلم بها الناس يُعطون عنها جواباً في يوم الدين »

هذه بعض سنن النصرانيَّة التي اعلن بها السيد المسيح . فليقم الآن حكم منصف من اي ملة كان وليقل لنا هل وُجد في العالم منذ انشائهِ الى اليوم في اي دهر واي وطن كان حكيمٌ او مشترع او نبيٌ سنَّ بمثل سُنن المسيح او علَّم مثل تعاليمهِ بل هل يمكن ان يوجد رجل يأتي بما يقاربها . فهيهات هيهات لانَّ بين كلّ التعاليم البشريَّة وتعاليم يسوع الناصريّ بوناً كبُعد السماء من الارض ولا بُدَّ لمن يتبعها باخلاص ونزاهة

دون غرض وهوى ان يقرّ انَّ هناك إصبع الله بل هو الله نفسهُ لبس يوماً طبيعة الانسان وتردَّد مع البشر فاوحى للعالم بفيه القدوس اسرار السماء . فسبحان الله الكلمة الذي تنازل وجوَّد ذاته الالهيَّة لتعليمنا وطوبى للآذان التي تصغي الى تعاليمهِ وللقلوب التي تجري بمقتضاها فانَّها بلا مراء ستثمر الثار الجنيَّة لخير الانسان في دنياه الحاضرة ولسعادتهِ في الحياة الآخرة (له بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

G. Scialhub : Grammatica Italo-araba e Vocabolario comparativo tra l'arabo letterario e il dialetto libico (Manuali Hoepli), *Milano* 1913, XIII-396

كتاب ايطالي عربي في قواعد الصرف والنحو مع قاموس تشبيهي
بين العربي النحوي واللهجة الليبيَّة

لا يزال محلّ هُبلي في ميلانو ساعياً في نشر الكتب التعليميَّة لدرس اللغات الاجنبيَّة وممَّا اهتمَّ بنشرهِ مؤخَّرًا كتاب مفيد للايطاليين المهاجرين الى طرابلس الغرب التي دخلت في حكم بلادهم . والساعي في ذلك احد مواطنينا السوريين يوسف افندي شاهوب فعُني اولًا بشرح قواعد الصرف والنحو العربيين في اللغة الايطالية ثمَّ اورد الخواصَّ المميِّزة للهجة الطرابلسيين مقابلًا بينها وبين العربيَّة الفصحى واردف ذلك بمعجم لأخصّ الالفاظ المستعملة في كلتيهما راويًا لفظها بالحرف العربي والحرف اللاتينيّ . فلا شكّ ان الاجانب ولا سيما الايطاليين المستوطنين لطرابلس الغرب يقبلون على درس هذا الكتاب ويرجعون اليهِ في معاملاتهم . وهو مع ذلك صغير الحجم انيق الطبع مُتقَن التجليد ل. ش

I. Mons. C. Mola d. O. Vescovo di Sasima — Manuale per le visite alle Chiese per l'acquisto del Giubileo Constantiniano. 1913, p. 16. = II. Arcip. Paolo Pellegrini — La prima Domenica del Mese dedicata al. S. Cuore di Gesù. *Napoli, M. d'Auria*, 1913, pp. 176

فرائض اليوبيل القسطنطينيّ - اوَّل احد الشهر المخصص بعبادة قلب يسوع

وضع اوَّل هذين الكتابين السيّد الايطالي مولا اسقف ساسيما فضمَّنهُ مجموع

المعلومات لربح غفران اليوبيل الذي نادى بهِ الحبر الاعظم في السنة الحاليَّة تذكارًا للمئة السادسة عشرة من تحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير مع الصلوات اللائقة بهذا المقام — أما الثاني فأعمُّ نفعاً يحتوي في ١٧٦ صفحة الفرائض الدينيَّة المفيدة لنشر عبادة قلب يسوع خصوصاً في الاحد الاوَّل من كلّ شهر اذ قد جرت العادة بتكريس ذلك اليوم لاكرام قلب فادي البشر . جمع هذه الفروض التقويَّة حضرة الخوري بالتريني من عدَّة تآليف متفرّقة بحيث يسهل على المتعبّد مطالعتها في كتاب واحد . والتأليفان كلاهما قد أُتقن طبعهما وزُيّنا بالنقوش اللطيفة ل . ش

تاريخ آداب اللغة العربيَّة

تأليف جرجي افندي زيدان منشئ الهلال

الجزء الثالث . طبع في مطبعة الهلال بالفجالة مصر سنة ١٩١٣ (ص ٣٤٨)

عرف القرَّاء اعتبارنا لهذا التأليف بما قدَّمناهُ من النقد على جزئيهِ الاوَّلين (المشرق ١٤ : ٥٨١ و١٥ : ٥٩٧) وكان بودّنا ان نتَّسع في تعريف هذا الجزء الثالث كما فعلنا بالسالفين الَّا انَّ ضيق المكان يقضي علينا بالاختصار فنقول : ان هذا الجزء من تاريخ آداب اللغة العربيَّة يشمل ثلاثة عصور اي اواخر العصر العبَّاسي ثم العصر المغولي ثمَّ العصر العثماني اعني قريباً من سبعة قرون ونصف منذ دخول بني سلجوق بغداد سنة ٤٤٧ هـ الى دخول نابوليون مصر سنة ١٢١٣ (١٠٥٥—١٧٩٨ م) .

فما يقال اجمالًا عن هذا التأليف انهُ اوسع واضبط ما جاء في العربيَّة في معناه . وقد تتبَّع جناب المؤلف آثار المستشرق الالماني بروكلمان في تقسيم الكتاب ورواية كثير من معلوماتهِ . على انَّ هذه المعلومات ليست في الغالب سوى قائمة ناشفة لتآليف شتى متفرّقة في عدَّة مكاتب لا يعرف القارئ غثّها من سمينها . فاين هذا من تاريخ الاداب الذي يقتضي وصف التآليف وبيان خواصها ولاسيما انَّ اربعة اخماس تلك المصنَّفات المذكورة انما هي كتب دينيَّة من تفاسير للقرآن وفقه وحديث ينقلها الخلف عن السلف مما لم يُجدِ الآداب العربيَّة نفعاً جزيلًا فينخدع القارئ بوفرة التآليف مع قلة جدواها كما انخدعنا نحن غير مرَّة اذ عثرنا على مئين بل الوف من المخطوطات فبعد الفحص لم نكد نجد بينها من الكتب المفيدة ما يتجاوز عدد الاصابع . فكان الاولى اذن في تاريخ الآداب العربيَّة ولاسيما اذا كان المقصود منهُ التدريس ان يقتصر المؤلف

على مشاهير الكتّاب والقيد من التآليف ويلتمح الى الباقي تلميحاً خفيفاً — ومن ملحوظاتنا العموميّة انّ المؤلف لم يُصب الهدف في تعيين مميزات كلّ عصر كقولهِ مثلاً (ص ١٣) عن سبب تقهقر الشعر العربيّ في العصر العبّاسي الرابع: «تغيّرت حال الشعر في هذا العصر عمّا كانت عليهِ قبلهُ... فاصبح الشاعر لا ينظم رغبةً في الجائزة او تنافساً في التقدّم لدى ولاة الامر وانّما ينظم في الاكثر ارضاء لقريحتهِ». فهذا سببٌ ضعيف لكساد فنّ الشعر ألا يرى جرجي افندي كم نبغ من الشعراء في ايّامنا وهم في الغالب لا ينظمون الّا «ارضاء لقريحتهم». واستضعفنا ايضاً حجّتهُ في قولهِ (ص ١١٥) عن سبب تحويل العلوم: «انصرف اصحاب القرائح من الاشتغال في الفلسفة والفلك والرياضيّات الى الابحاث الدينيّة ولعلّ السبب كثرة ما تولّى الناس من الإحن فالتجأوا الى الدين» كأنّهُ اراد انّ الدين والعلم خصمان الدّان وما هما الّا شقيقان عزيزان

تلك ملحوظات عموميّة نزفّها الى صديقنا صاحب هذا التأليف الجليل أمّا الملحوظات الخصوصيّة فكان يُقتضى لها عدّة صفحات نذكر هنا قليلاً منها: (ص ١٠) الصليبيّون ملكوا على جهات الشام وفلسطين مائتي سنة ليس كما قال من ٤٩٢ الى ٥٨٣ — (ص ١٧) رشيد بن غالب ما هو الّا الكُنت رشيد الدحداح الذي افسد اسمهُ المصريُّ السارق لطبعة مرسيليا كما بيّنّا سابقاً — (ص ٢٣) اكسونيا المذكورة هناك اسم اكسفورد في اللاتينيّة. وكذلك جولي هو المستشرق الهولندي غوليوس — (ص ٢٧) القصيدة الطنطرانيّة اوّل من نشرها سلوستر دي ساسي في مجموعهِ «الانيس المفيد» — (ص ٢٧) نشرنا ارجوزة ابن المبارك في الشطرنج في المشرق (١٣: ٧٧) — (ص ٢٩) ديوان الابيورديّ طُبع في مصر على الحجر سنة ١٢٧٨ بطبعة محمود افندي اللطيلي — (ص ٣٢) ديوان ابن حديس لم يُطبع كاملاً الّا في رومية بهمّة المستشرق سكياپارلي سنة ١٨٩٧ بحرفنا البيروتي — (ص ٣٣) البُرعي اليماني ليس هو من العصر العبّاسي الرابع كما ظنّ بل عاش في القرون الاخيرة ذكرهُ الشرواني في حديقة الافراح — (ص ٣٧) ابو زكريّا التبريزيّ طبعنا لهُ شروحهُ الدقيقة على كتاب ابن السكيت في الالفاظ — امّا شروحهُ على اصلاح المنطق فطُبع منها قسم في القاهرة — (ص ٤١) كتاب الفاظ الاشباه والنظائر هو عين الالفاظ الكتابيّة

للهمذاني الذي نشرناهُ وانّما خُدع الطابع باوّل صفحة نسخة الاستانة كما اخبرّنا بهِ في بغداد — (ص ٤٤) اوّل ما طُبع شرح المعلقات للزوزنيّ في بيت الدين سنة ١٨٥٣ — (ص ٧٣) تاريخ دمشق لابن عساكر طُبع منهُ ثلثة مجلدات في دمشق في السنين الاخيرة بعناية الشيخ عبد القادر افندي بدران مع ضربهِ صفحاً عن الاسانيد — (ص ٧٩) لم يحسن جرجي افندي وصف المكتبة الصليبيّة لا من حيث ترتيبها ولا من حيث مضامينها الواسعة — (ص ١١٣) ما رواهُ عن حريق مكتبة غرناطة على يد الكردينال زيمنس لا ينطبق على تاريخ صحيح فانّ غاية ما قرّرهُ الى يومنا العلماء الاثبات انّهُ احرق بضعة مئات من الكتب الدينية اما الكتب العلميّة فانّهُ لم يأمر بحرقها (فليراجع في كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسيّ ما كتبهُ عن اتلاف كتب الاندلس سابقاً ص ٦٦ من طبعتنا) — هذه بعض ملحوظات نكتفي بها مع تكرار شكرنا لمؤلف هذا التاريخ

ل. ش

الشروح الوفية للصلوة الربية

تعريب وتأليف الاب يوسف شلفون اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للمرسلين اليسوعيين بيروت ١٩١٣ (ص ٥٠٨)

الصلوة الربّية وضعها المخلّص لهُ المجد ليشدو بها كل المسيحيين مسبّحين الآب الذي في السماوات . طالبين مجدهُ في ارض منفاهم . تائقين الى الاوطان العلويّة . فلا عجب اذا ما تعدّدت فيها اقاويل الآباء القدّيسين ومعلّمي السيرة الروحيّة . وقد جمعها الاب الفاضل في كتابهِ وافرغها في عبارات بسيطة انيقة تؤدي المعاني الاصلية وان عربيّةً فيما يغلب حرّةً . فيكون لحضرتهِ فضل عظيم اقلّهُ من هذا القبيل . وزد على ذلك انهُ اثابه الله وصل ما جاء بهِ من اقاويل الثقات باعتبارات شخصية وشواهد تاريخية واخبارية يجد فيها المطالع جدوى روحية فضلًا عن اللذة التقوية . وحبذا لو اشار الكاتب المدقق ولو في الحواشي الى المصادر التي اخذ عنها فلعلّ المطالع يرغب في مراجعتها في الاصل والاطلاع على ما يسبقها ويليها فتُضاعف المنفعة . ولا عجب ايضاً اذا ما توفّرت علاقات الصلوة الربّية بعقائد الايمان القويم وواجبات المسيحي فان السيّد المسيح لاسمهِ السجود قد لخّص فيها تعاليمهُ الانجيليّة اذ سالهُ التلاميذ قائلين (لوقا ١١ : ١) : « يا رب علّمنا ان نصلّي » ولكن خير الامور اوسطها . فلو

اقتصر الاب الفاضل على « الشروح الوفية للصلوة الربية » وعلاقاتها القريبة دون البعيدة لما سلب الكتاب شيئاً من محاسنه. ولا نخال حضرته اغفل عن هذا. غير انهُ آثرَ ولا شك تعميم الفائدة ولو بالاسهاب. والحق يقال انَّ ما هو في زعمنا دخيل في الكتاب يبقى في حدّ ذاته جزيل الفائدة. فثمّةَ للمتأمل مادّة واسعة يرتاض بها في مناجاته. وللكاهن لآلئ ثمينة ينظمها في عظاته. وسبحان من تفرّد في كمال حسنه ومحاسنه

ش. ابيلا

رتبة درب الصليب وزياح الصليب

للاب انطون صالحاني اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للمرسلين اليسوعيين بيروت ١٩١٣ (ص ٥٦)

قال المؤلف في صدر كُتيّبه « يسوع المصلوب هو سفر مكتوب في الجراحات والدم يسهل على الجميع قراءته ... وتعليمه بليغ يُنير العقل ويستميل الارادة ويقوّي الضعف ويُجلي كل مرّ ويسهّل كل صعب. » فحبّذا الطرائق التي تهدي المؤمن الى تصفّح هذا السفر الجليل وان تعدّدت كما هو الواقع في يومنا هذا. فزيادة الخير خيرٌ. سيّما اذا كان المرشد الى الخير على اسلوب هذا المصنَّف الذي جمع بين العواطف التقوية العذبة والتعاليم القويّة المتينة وهو مع فصاحة عبارته ورونقها بسيط سهل المأخذ مما يجعله منهلاً فائضاً يستطيع الجميع ان يردوهُ فيستقون عبادةً وحبّاً لفادينا المصلوب. وقد اضاف اليه حضرة المؤلف رتبة زياح الصليب المشهورة وهي كلها تقوى وخشوع. ومما يزيد في قيمته ثمنه الزهيد تُباع نسخةُ الواحدة ١٥ سنتيماً ش. ا.

كتاب خادم القدّاس الالهي

جمعهُ وضبطهُ على الاصل اليوناني الاب الكسيوس شتوي ب. م

بطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٣ (ص ٢٦٤)

ليس هذه اوّل مرّة يُطبع كتاب خدمة الليتورجيا الالهيّة للطقس الرومي الكاثوليكي الملكي الّا ان في هذه الطبعة الجديدة « ما يعين المرتلين في خدمة القداس الالهي طبقاً للتيبيكونات الصحيحة ويسهّل للشعب اتباع الكاهن والشماس والخورص في الصلوات العلنيّة ». فضمّنهُ « ما يقال في القداسات الثلاثة من الطروباريّات والقناديق والانديفونات ». ومن مزاياها ايضاً انّ حضرة الجامع قابل الترجمة العربيّة على اصلها

اليوناني تزادها امانةً وتنقيحاً. ومن محاسنها ايضاً انَّ كلَّ ما يقولهُ خادم القداس او جوقة المرتلين في الخورس قد ضُبط بالشكل الكامل حذرًا من تشويه الالفاظ باللحن. وكذلك قد أحسن الجامع بإثبات خدمة كل الاعياد في الاصل اليوناني مقابل العربي ما عدا تقاريظ الاساقفة وخدمة عيد الجسد الحديثة. وقد زادت مطبعة القديس بولس في حريصا هذا الكتاب رونقاً بحسن طبعهِ وإحكام تجليدهِ. فشكرًا لكل من سعى بنشر هذا الاثر ل. ش

العراقيات

الجزء الاوَّل. جمعها الادباء رضا وظاهر وزين
طُبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٣١ (ص ٢٠٨)

الشعر العراقي الحديث كاد يكون مجهولاً في انحاء الشام فأحسن محمد افندي رضا ورفيقاهُ الافنديان ظاهر وزين بنشر هذه الشذور المنبثة بفضل اصحابها والناطقة بآيات بلاغتهم في كل ابواب الشعر من وصف ومديح وفخر ورثاء. فيتحقق اهل بلادنا انَّ العراق لا يزال منبت الادب وانَّ العلويين قد ورثوا عن إمامهم ملكة القريض. ولولا بعض غرابيات الكتاب لأشرنا على ناشئة وطننا بدرسهِ واقتباس فوائدهِ ل. ش

بتولية مار يوسف

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي
بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩١٣ (ص ٢٥)

قال احد آباء الكنيسة انَّ السيد المسيح كان هائماً بالطهارة فلذلك قرَّب البتوليَّة من شخصهِ الكريم فاختار امًّا بتولاً واصطفى لأمهِ قريناً بتولاً وعيَّن ليتقدَّم امام وجههِ سابقٌ بتول وسمح لتلميذهِ البتول ان يسند رأسهُ الى قلبهِ في العشاء السرّي. فكفى بذلك القول دليلاً على بتوليَّة يوسف التي دافع عنها حضرة الاب صالحاني احسن دفاع بادلَّة اقنعت كلَّ القرَّاء من جميع الطوائف فيا ليت حضرة الارشمندريت الياس زوَّول يقرّ بغلطهِ ولا ينزع عن هامة يوسف الجليل ذلك التاج البهي الذي يزينها والذي جعلهُ اهلاً ليقترن بالزواج مع والدة الله ويصير للمسيح ابًا بالذخيرة ل. ش

هدايا أرسلت الى ادارة المشرق

١ منشور راعوي وجّهَهُ غبطة السيد الجليل مار عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى عموم الطائفة الكلدانيّة بمناسبة الاحتفال باليوبيل القسطنطيني · الموصل ١٩١٣

٢ رسالة رعائيّة الى موارنة ابرشيّة بيروت بمناسبة اعياد اليوبيل القسطنطيني ١٩١٣ · بيروت المطبعة الكاثوليكيّة ١٩١٣

٣ رومة والشرق · مقالة معرّبة عن الافرنسيّة بقلم الاديب انطون عقل نُشرت في مجلة الجمانيّة · مطبعة صبرا بيروت ١٩١٣ (ص ١٥)

٤ ابناء الفقر اكثر تأثيرًا في ترقية الهيئة الاجتماعية من ابناء الغنى · خطاب القتهُ السيدة سلمى صائغ كساب في حفلة جمعية شمس البرّ في بيروت · مطبعة الحسناء بيروت

• Catalogue sommaire des Manuscrits du R. P. Paul A. Sbath.— (*Extrait de la Revue de l'Orient Chrétien*). *Paris Librairie A. Picard, 1912.*

شذرات

عاصمة الهند الجديدة اخبرنا سابقاً ما عوّلت عليهِ حكومة الهند الانكليزيّة بعد زيارة الملك جورج من نقل مركز اعمالها الاداريّة من كلكوتا الى دِهْلي · على انَّ دهلي مدينة قديمة مركَّبة من اربع مدن اسم اقدمها دهلي سبقت العهد الاسلامي · ثم سيري بناها غياث الدين حفيد المستنصر الخليفة العباسي · ثم تُغلق اباد من بناء السلطان تغلق في اواخر القرن الثالث عشر · والرابعة تدعى جهان پناه اي ملجأ الدنيا اتّخذها السلطان محمّد شاه كرسيًّا للكهِ في اواسط القرن الرابع عشر · على انَّ هذه المدينة مع ما فيها من الابنية القديمة الفخية لا تصلح لاعمال عاصمةٍ كبرى عصريّة · ومن ثمَّ قد اتفقت ارباب الامر على تشييد مدينة جديدة في سهل فسيح موقعهُ جنوبيّ المدينة الحاليَّة وقد عيّنت لرسم المدينة لجنةً من المهندسين الاختصاصيين وكلت اليهم النظر في كل ما يؤول الى خير المدينة من حيث تنظيمها وتقسيم احيائها ومراعاة احوالها الصحيَّة وتوزيع مياهها وهندسة ابنيتها العموميَّة واتساعها في المستقبل · ومما اجمع عليهِ المهندسون ان تُشيَّد المدينة على طريقة هندسيَّة موافقة لتاريخ البلاد وذوق الاهلين اعني وفقاً لاصول الهندسة الهنديّة والاسلاميَّة · والمؤمَّل انَّ المدينة ستُصبح كبيتيمة تلك الانحاء · وكثرةً في جبهة تلك المستعمرة الانكليزيّة

الدكتور كاباني في المقالة التي نشرناها في العدد الاخير من المشرق

(ايلول ١٩١٣ ص ٦٧٦ — ٦٦٦) ردًا على مـا كتبهُ في المقتطف الدكتور امين ابو خاطر بخصوص دروينية القديس اغوسطينوس اشتبه علينا اسم الدكتور كابانس. وقد اشتهر بهذا الاسم رجلان وكلاهما طبيب وكاتب. الواحد منهما يدعى بيار جان كابانس (P. J. Cabanis) عاش في اواخر القرن الثـامن عشر واختلط بفلاسفة عصره ورجال الثورة الفرنسوية وتوفي سنة ١٨٠٨. والآخر اوغستان كابانس (Aug. Cabanès) وهو كاتب عصري لا يزال حيًّا يُرزق لهُ كسميّهِ عدة تآليف في الطب والتاريخ وليست كل آرائهِ راجحة ثابتة بل بالغ وتطرَّف في بعضها حتى زيَّف مزاعمه فئة من الكتبة الموثوق بعلمهم. والظاهر ان منقولات الدكتور ابي خاطر عن هذا الاخير ليست عن الاول. فاقتضى التنبيه. وعلى كل حال لا ينقد دفاعنا عن القديس اغوسطينوس شيئًا من صحتهِ والدكتور امين مخطئٌ سواء نقل عن الاول ام عن الثاني

—❁ اكاذيب الكلمة ❁— اعتادت مجلة الكلمة الاورثذكسيَّة المطبوعة في نيويورك التحامل على الكثلكة زورًا فاشرنا الى كذبها مرارًا فلم ترعوِ وقد اثبتت بذلك المثل السائر انَّ العادة طبيعة ثانية. وهـا نحن نورد امثلةً من افكها ليكون القرَّاء على بصيرة. ففي عددها الاول من سنتها الحاليَّة (ص٣٢—٣٩) سطَّر منشئها فصلًا مضحكًا اراد على زعمهِ ان يبيّن فيهِ انَّ شعوب البلقان الاورثذكسيين لم يقصدوا سوى نصرة الصليب في حربهم مع تركيَّة وانَّ الحبر الاعظم عدل عن هؤلاء الصليبيين — والعالم التمدّن يعرف الآن من هم — لينتصر للامة التركيَّة (كذا). ثمَّ اردف ذلك بفصل مثله غرابةً (ص ٣٩—٤١) عنوانهُ « شهادة بارونة اوربية كاثوليكيَّة على اضطهاد الكنيسة البابويَّة للكنيسة الاورثذكسية الشرقيَّة » اراد بالبارونة امرأة المانيَّة يعدُّها كل من يعرفها من مواطنيها وغيرهم فاقدةَ الشعور وفي يدنا كتابها الذي تشهد كل صفحاتهِ على ثانيقاتها — وكذبت الكلمة ثالثةً في عددها الثاني (ص ١٠٥) حيث روت « بان البابا بيوس العاشر أسقط اسماء خمسة باباوات من السلسلة البابارية » وهو خبر ليس لهُ ادنى نصيب من الصحَّة كما لا يخفى الَّا ان صاحب الكلمة لا يهمُّهُ الصحيح وانما غايتهُ رشق نبالهِ ضدَّ رومية. وعادت الكلمة في عددها الثالث (ص ١٣٤) الى تمثيل روايتها الهزليَّة عن انتصار دول البلقان واستياء الكاثوليك من هذا الظفر فافتتحت كلامها بهذه الالفاظ الحلوة : « انَّ الصحافة الكاثوليكيَّة

تبكي الآن بمرارة تلك الخسارة التي حصلت لمزاعم رومية الطوبلة المريضة من جراء نجاح الممالك الاربع «الشاقّة» (كذا) البلقانيّة في حربها ضدّ الدولة التركيّة» زه زه. — ثم كرّرت الكلمة كذبها (ص١٧٧) اذ روت خبر مذكّرة للحبر الاعظم بيوس العاشر الى حكومات جرمانيا والنمسا وايطاليا «طالباً منها ادخال مدينة سكوتاري في حدود البانية» وكل ذلك لا صحّة له الّا في مخيّلة منشئ الكلمة — ومن المضحكات المبكيات فصل الكلمة (ص ٢٣٧) المعنون «الجبل المقدّس والصحف الكاثوليكيّة» جعلت لجبل آتوس شأناً عظيماً في اعين الكاثوليك وكلّ خبير يعلم ما هي قداسة ذلك الجبل وسكّانه الذين ليس لهم من الرهبانيّة غير ثوبها كما تفيدنا كل يوم روايات السيّاح الى هذا الجبل المقدس !! — وقد اقرّ السيّد هواويني نفسهُ في العدد التالي (أيار ص ٣٠٩ ثمّ في عدد تموز ٣٨٥) بظهور بدعة جديدة بين رهابين جبل اثوس المقدّس! — وفي عدد حزيران (ص ٣٢١—٣٣٢) اعلمنا سيادتهُ بتثبيت روسيا لاحد قدّيسيها البطريرك هرموجانيس الذي لا يُعرف له من فضل غير بغضهِ للكاثوليك البولونيين — وفيهِ ايضاً (ص ٣٧٥) خبر «دسائس جزويتيّة في عاصمة الروسيّة» وكفى لتكذيب الكلمة القول بانّ الجزويت بفضل الاورثدكسية منفيّون من روسية منذ ٩٥ سنة فكيف يدسّون الدسائس في عاصمتها ! — وفي عدد تموز (ص ٤٣٠) فصل عنوانهُ «تأليه البابا» يزعم السيد هواويني انّ الكاثوليك يعبدون البابا كإله وفي مقالتهِ شاهد جديد على انصافهِ بل قل على ما يغلي في قلبهِ من مراجل البغض للكرسي الرسولي الذي رفع عليه عقبهُ شأن الابن المتمرّد — وفي عدد آب (ص٤٦٦—٤٨٨) نقل السيد هواويني مقالة كاتب المهذّب — وكل طير يأوي الى جنسهِ — حيث ادّعى انّ الحبر الاعظم بمقاومتهِ للاضاليل العصريّة انّما اراد الاستبداد وعدل عن الاصلاح الى الجور وقد بيّنّا سابقاً مؤدّى تلك التعاليم وتواطؤ اصحابها على كنيسة المسيح. فترى انّ صاحب الكلمة لا يدع عدداً واحداً من مجلّتهِ دون ان ينفث فيهِ سمّ بغضهِ للكثلكة ولو شغل نفسهُ في اصلاح كنيستهِ لوجد مجالًا ولسعاً واغنتهُ اخشاب عينها الغليظة عن نظر القذى في عين الكنيسة الرومانيّة

المهاجرة الى اوسترالية معلوم انّ اوسترالية اكبر جزائر المعمور كافية لسكنى ٥٠ مليوناً من السكّان . على انّ عدد اهلها لم يكد يبلغ سنة ١٩٠٧

خمسة ملايين من النفوس. فسدًا لهذا الخلل جعل ذووها يسعون في جذب المهاجرين الى جزيرتهم لاسيا الاوربيين فزاد عددهم زيادةً تذكر ففي السنة ١٩٠٨ لم يتجاوز عدد المهاجرين ٧٢,٠٠٠ فبلغ في السنة التالية ٨٣,٠٠٠ ثم ٩٥,٠٠٠ ثم ١٤١,٠٠٠ حتى بلغ في العام الماضي ١٦٦,٠٠٠. وقد افادنا مكاتبونا انَّ السوريين في اوستralية موفَّقون فلعلَّ المهاجرة اليها اجدى لهم نفعًا من سواها

اسئلة واجوبة

س سأل من جديدة مرج عيون حضرة الخوري بطرس شديد هل زواج رجل وفتاة اورثذكسيين اذا عُقد مدنيًّا في اميركا هو ثابت او يجوز فسخهُ اذا اعتنقا المذهب الكاثوليكي

زواج مدنيّ بين اورثذكسيَّين

ج يعدّ الكرسيّ الرسوليّ هذا الزواج ثابتًا عند الشرقيين (غير الموارنة القابلين لحكم المجمع التريدنتيني) ولا يسمح بفسخهِ اذا عاد الاورثذكسيَّان الى الدين الكاثوليكي ما لم يكن هناك موانع أُخرى موجبة لابطالهِ

س وسأل ش. خ من جونية هل يجوز للكاهن خوري الرعيَّة ان ينقل ايَّام الاعياد غير البطالة من يوم الى آخر

نقل الاعياد غير البطلة

ج لا يجوز ذلك الَّا باذن اسقف الابرشيَّة كنقل عيد الكنيسة المحليَّة الواقع في ايَّام الشغل الى يوم الاحد وما اشبهه واذا لزم تغيير شيءٍ في الطقوس الكنسيَّة بسبب هذا النقل لا بُدَّ من مراجعة غبطة السيد البطريرك

س وسأل من هوليوك ماس في الولايات المتحدة جناب ميخائيل افندي عبَّاس: ١ً هل الروم الذين يتكلمون باللغة العربيَّة سواء كانوا كاثوليكيين او اورثذكسيين اصلهم يونان او سريان. ٢ً هل تُعرف سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين قبل تفرُّع الطوائف وانقسامها

اصل الروم الكاثوليك والارثذكسيين — سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين

ج اصل الروم عمومًا في بلاد الشام من العُنصر الآرامي كبقيَّة الطوائف الشاميَّة وان امتزج بهم كما في بقيَّة الفينيقيين آثار من دم الشعوب الذين استولوا على سوريَّة كالبابليين والفرس واليونان والرومان والعرب الَّا ان ذلك لم يمحُ العنصر الاصلي الوطنيّ — اما سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين فمعروفة وان كانت بعض حلقات تلك السلسلة مفقودة ل. ش